

## من الذكريات والمشاهدات

(\*) (١٣٧٩-١٤٤٣هـ/١٩٥٩-٢٠٢١م)

**أ.د. غيثان بن علي بن جريس**

(\*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، لغيثان بن جريس ، (الطبعة الاولى) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) ، (الجزء الرابع والعشرون) ، ص ص ٤٧١-٥٢٩ .

## ثانياً: من الذكريات والمشاهدات (١٣٧٩-١٤٤٣هـ/١٩٥٩-٢٠٢١م) :

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	ذكريات ومشاهدات في بلاد النماص (سراة وتهامة بني شهر وبني عمرو) (١٣٧٩-١٣٩٦هـ/١٩٥٩-١٩٧٦م).	٤٧١
ثانياً:	ذكريات ومشاهدات في أبها وغيرها بالمملكة العربية السعودية (١٣٩٦-١٤٠١هـ/١٩٧٦-١٩٨١م).	٤٨٨
ثالثاً:	ذكريات ومشاهدات في أمريكا ثم أبها (السعودية) (١٤٠١-١٤٠٧هـ/١٩٨١-١٩٨٧م)	٥٠٣
رابعاً:	ذكريات ومشاهدات في بريطانيا (١٤٠٧-١٤٠٩هـ/١٩٨٧-١٩٨٩م).	٥١٣
خامساً:	ذكريات ومشاهدات في عسير وغيرها من بلدان المملكة العربية السعودية (١٤١٠-١٤٤٣هـ / ١٩٩٠-٢٠٢١م)	٥١٨
سادساً:	خلاصة القول	٥٢٩

## أولاً: ذكريات ومشاهدات في بلاد النماص (سراة وتهامة بني شهر وبني عمرو في عسير) (١٣٧٩-١٣٩٦هـ/١٩٥٩-١٩٧٦م).

ولدت في قرية آل مقبول العمرية الأزديّة في سرورات إمارة (محافظة) النماص عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م). وفي سن الخامسة ذهبت إلى منزل والدي في قرية آل رزيق الشهرية الأزديّة، وبقيت فيها حتى نلت شهادة الثانوية العامة، القسم الأدبي، عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) <sup>(١)</sup>.

عشت سبع عشرة سنة في سرورات إمارة (محافظة) النماص، وعرفت وشاهدت الكثير من جوانب الحياة. فأهل البلاد من القرى والقبائل هم الذين يستوطنون ديارهم تحت إمرة شيوخهم، وإشراف المؤسسات الإدارية الحديثة التي معظمها في قرية أو بلدة النماص، وبدأت تظهر وتؤسس إدارات أخرى حكومية حديثة في كل من تنومة وبلاد بني عمرو <sup>(٢)</sup>. ومع حداثة سني في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) شاهدت

(١) للمزيد انظر كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م)، ج١، ص ٤٠٨، ٤٢٨. وكتاب: بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣٠١هـ/١٩٨٠م)، (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، ط٤، ص ٤٢٩-٤٧٠. للمزيد عن سيرة غيثان بن جريس. انظر محمد بن أحمد بن معبر. مؤرخ تهامة والسراة (غيثان بن علي بن جريس) دراسة توثيقية (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٢٨هـ/٢٠١٧م)، ط٢ (٥٨٤صفحة). عوض بن عبد الله بن ناخي. المؤرخ غيثان بن جريس في الصحف والمجلات والندوات (١٤٠٧-١٤٤٠هـ/١٩٨٧-٢٠١٨م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م). (٥٨٤صفحة).

(٢) التاريخ السياسي والإداري في عموم بلاد الحجر (بلحمر، وبللسمر، وبني شهر، وبني عمرو) سراة وتهامة موضوع لم يدرس وبخاصة في التاريخ الحديث والمعاصر (من بداية القرن الرابع عشر الهجري

الكثير من القرى وأهلها في سروات النماص من بلاد تنومة إلى قرى آل الشيخ وبنى رافع في شمال سروات بني عمرو ، بل ذهبت مع مدرستي الثانوية بالنماص عام (١٣٩٤-١٣٩٥هـ/١٩٧٤-١٩٧٥م) في رحلة طلابية إلى أطراف مدينة أبها . وفي نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات ذهبت في رحلتين إحداهما مع والدتي إلى الحج ، والأخرى مع عمي محمد بن عبد الرحمن أبو مارق إلى أسواق خاط والمجاردة الأسبوعية في تهامة بني عمرو وبني شهر ، كما سافرت في رحلتين أو ثلاث ولفترات قصيرة لزيارة أخي الأكبر محمد بن جريس في الرياض ، وخالي عبد الله بن محمد العمري الملقب بـ ( ابن جراد ) في مدينة الدمام ، وزيارة ثلاث أخوات متزوجات ( فاطمة ، وسراء ، وقبله ) في الطائف ، وراس تنورة في المنطقة الشرقية<sup>(١)</sup> .

### (\*) وفي النقاط الآتية أرصد بعض المشاهدات والذكريات والانطباعات التي رأيتها وعرفتها من حياة ( تاريخ ) الناس آنذاك ، في مرحلتي الطفولة وبداية الشباب ، وهي على النحو الآتي :

١- كانت الأرض مليئة بخيراتها ومواردها الطبيعية ، فالمياه متوفرة بكثرة في الآبار ، وتجري مياه الغيول والعيون والأودية فترات طويلة خلال العام ، والسيول تسقط باستمرار ، والبلاد مكسوة بغطاء نباتي جميل فيه من كل الأشجار ، والشجيرات ، والحشائش ، والنباتات المتنوعة . وترى جميع الأراضي الزراعية ( المسقوية والعثرية ) مليئة بالمزروعات المختلفة . وأهل البلاد أنفسهم ( نساء ، ورجالا ، صغارا وكبارا ) هم من يقوم على خدمة مزارعهم من إصلاح الأرض وحرثها وتسويتها إلى زراعتها وحماية محاصيلها وحصدها وخزنها . وتعج الأرض بالكائنات الحية الأخرى . فالناس في السراة والبادية وتهامة يملكون الكثير من الحيوانات الأليفة ( الإبل ، والأبقار ، والضأن ، والماعز ، والحمير ، والقطط ، وكلاب الحراسة وغيرها ) ، وعندهم أنواع عديدة من الطيور المنزلية كالدجاج ، والبط ، والأوز ، والحمام . وهناك كائنات برية أخرى كثيرة مثل الأسود ، والنمر ، والذئب ، والثعالب ، والنيص ، والفهد ، والقروذ ، والأرانب ، والغزلان ، والوبران ، والثعابين والعقارب والزواحف بأنواعها<sup>(٢)</sup> .

حتى الآن ١٤٤٣هـ) . أمل أن يكون موضوعاً يدرس في هيئة كتاب أو رسالة ماجستير أو دكتوراه . وجامعتنا الملك خالد وبيشة عليهما وعلى كليتهما وأقسامها مسؤولة كبيرة لخدمة تاريخ وحضارة منطقة عسير الشرقية ، والسروية ، والتهامية .

(١) كل هذه الرحلات والمشاهدات تقريباً خلال عشر سنوات (١٣٨٦-١٣٩٦هـ/١٩٦٦-١٩٧٦م) ، وسني آنذاك يتراوح بين السابعة والسابعة عشرة .

(٢) كانت الأرض فعلاً آنذاك مكتظة بكل هذه النشاطات والكائنات الحية . وكان الناس مثل خلية النحل يمارسون أعمالهم في أوطانهم ، ويعتمدون على أنفسهم في توفير احتياجاتهم الضرورية . ودراسة هذه

٢- إن السائر والمشاهد في هذه البلاد المعنية في هذه الصفحات خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م) يرى كل عشيرة من قبيلتي بني شهر وبني عمرو، أو من قبائل بلاد تهامة والسراة الممتدة من أبها إلى الطائف تعيش في قراها التي يعود بعضها إلى الوراثة مئات السنين. ومادة البناء المستخدمة آنذاك الأحجار والطين، أو الطين فقط في بعض القرى العسيرية القريبة من أبها، أما الأجزاء الشرقية اليدوية فبيوت الشعر هي المعروفة والسائدة، وهناك قليل من الأبنية الحجرية والطينية. أما الأجزاء التهامية في خايط والمجاردة وما جاورها فالعشش، ومفردها عشة كانت المنازل الرئيسية في تلك النواحي. ولا تخلو البلاد من أبنية حجرية. ومن نهاية التسعينيات في القرن الهجري الماضي بدأت العمارة الحديثة المسلحة تظهر في بلدات وقرى وحواضر السراوات وتهامة<sup>(١)</sup>.

والأبنية أنواع، فهناك بيوت الناس في القرى<sup>(٢)</sup>، تتكون من غرفة وغرفتين وأحياناً تزيد إلى الثلاث والأربع، ومعظم المنازل من دور واحد، وربما دور وبعض الغرف القليلة والصغيرة على الطابق الأول. وإلى جوار كل منزل مرافق مبنية بالأحجار، أو القش، ثم الزنك من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وغالبا تستخدم سكنا للبهائم، ومخزنا لبعض الأغراض، وهناك بيوت تتكون من حجرات عديدة بعضها سكن للناس، وأخرى مأوى للحيوانات الأليفة، ومستودعات للحبوب والأعلاف. ويوجد في كل قرية وما حولها آبار، وبعض القنوات المائية، ومقابر، وأهمية عامة وخاصة، ومساجد، وطرق ودروب صغيرة تربط بين منازل القرية الواحدة، أو بين القرى المتقاربة والمتجاورة. وهناك دروب تسير إلى الأجزاء الشرقية (البدوية) أو الغربية التهامية. وتلك الطرق كانت قليلة ووعرة فلا يذهب الإنسان إليها إلا مشيا على الأقدام وقد يصطحب معه بعض الدواب مثل الحمير والأبقار والمواشي الأخرى<sup>(٣)</sup>.

المحاور المدونة أعلاه منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع جديد في بابه ليس في محافظة النماص. لكن في عموم بلاد السراوات وتهامة، من حواضر الحجاز الكبرى إلى بلاد جازان ونجران.

(١) تاريخ العمارة وتاريخ القرى في جنوب البلاد السعودية موضوع مهم جدا أن يدرس ويوثق في عدد من الكتب والبحوث العلمية منذ القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) إلى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٢) عشت السبع عشرة سنة الأولى من عمري في قريتي آل مقبول وآل رزيق، وكنت أشاهد قرى العشائر الأخرى مثل قرى النماص، وآل عمر، وآل سلامة، وبني روق من عشيرة الكلازمة الشهرية. وقرى آل معوطة، والخاضرة، وعاكسة، وصدريد من عشيرتي بني جبير وكعب. وقرى آل سكوت، وآل غيهب، وآل ساعد، وآل غواله، وآل ذا المظر من عشيرة بني كريم العميرية. وقرى أخرى عديدة عمرية وشهرية في السراة وبعض البوادي وناحيتي خايط والمجاردة. وأقول إن الأبنية والقرى القديمة في عموم السراوات وتهامة من الموضوعات الجديدة في أبوابها وتستحق أن تدرس تاريخيا وأثريا وحضاريا من صدر الإسلام حتى وقتنا الحاضر. أمل أن نرى بعض المؤرخين والآثاريين الجادين فيدرسونها، أو يوثقون تاريخ بعض القرى القديمة المذكورة في بعض المصادر وكتب التراث المبكرة.

(٣) عاصرت هذه الطرق الصغيرة بل مشيت في بعضها من السراة إلى بعض الأجزاء البدوية الشرقية عندما

ومن الثمانينيات ثم التسعينيات بدأت طريق السيارة تصل إلى بيشة ثم سروات بلقرن (العلاية) حتى النماص وتتومة . وطريق الطائف أبها أيضاً بدأ العمل فيه ترايبا ، وصارت السيارات تصل إلى النماص وأبها لكن بصعوبة شديدة جداً لصعوبة التضاريس ووعورتها<sup>(١)</sup> .

والحصون والقصور من الأبنية التي عرفتها بلاد (محافظة) النماص، ونراها متناثرة في عموم السروات وتهامة . وبعض الأعيان والشيخوخ والمقتدرين مادياً هم من شيد قصوراً ومنازل كبيرة . ويوجد في أغلب قرى بلاد الحجر، أو بلاد بني عمرو وبني شهر بيوت كبيرة لها مرافق عديدة وترتفع إلى عدة طوابق<sup>(٢)</sup> . وهناك حصون عامة داخل القرى ، وأخرى في الأودية والجبال . فالأولى تستخدم مخزناً لأفراد القرية يخزنون فيها حبوب مزارعهم . أما التي على رؤوس الجبال وفي بعض الأودية وعلى أطراف القرى فهي أبراج مراقبة لحماية القرية وأهلها ومزارعهم . وقد رأيت أبراجاً أو حصوناً متوسطة الجودة في البناء والارتفاع ، وأصحابها أفراد أو أسر ، وتستخدم للفرضين معاً للحراسة والمراقبة ، وللسكن وخبز بعض الأغراض والحبوب وغيرها<sup>(٣)</sup> .

٣- كانت معظم الأطعمة والأشربة في سروات النماص وتهامة وما جاورها من منتوجات مزارعهم ومواشيهم . ويوجد في أسواقهم الأسبوعية بعض الأطعمة

كان عمري حوالي (١٢) عاماً ، وكانت فعلاً طرقاً صغيرة وضيقة ووعرة ، بل كل الطرق حتى التي داخل القرى أو تربط بعض القرى المتجاورة بعضها مع بعض ، فلا يزيد عرضها عن نصف متر ، وقليلاً يصل إلى المتر والمتر والنصف ، ولا يسلكها إلا الدواب ، أو الناس مشياً على الأقدام . وما زالت آثار بعضها واضحة حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) . وبخاصة العقبات التي تربط بين السراة وتهامة ، أو الطريق التي تسير إلى وادي ترح وبيشة وغيرها شرقاً .

(١) جاءت طريق السيارة إلى سروات بني شهر وبني عمرو وما جاورها في العقود الأخيرة من القرن (٢٠١٤م) ، وقد أخذ شقها وتعبيدها سنوات طويلة من ثمانينيات القرن الهجري الماضي إلى بدايات هذا القرن (٢٠١٤هـ/٢٠م) . واليوم ولله الحمد أصبحت الطرق المسفلتة المزروجة أو الكبيرة تربط أجزاء السروات وتهامة من شرق البلاد إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها . المصدر: معاصرة الباحث للتطور والتنمية الذي تعيشه البلاد من نهاية القرن (٢٠١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

(٢) هذا ما عرفته وشاهدته في سروات النماص وما جاورها ، والذاهب اليوم في أرجاء السروات وتهامة يشاهد هذه الحصون والقصور مازالت ماثلة للعيان ، لكن بعضها أصابها الخراب واندرت بالكامل ، وأخرى انهدمت بعض أجزائها . وهذه المعالم التاريخية الحضارية قديمة وتحتاج الرعاية والترميم والصيانة ، والواجب على كل من يستطيع صيانتها وحفظها من الاندثار أن يسارع إلى فعل عمل إيجابي تجاه هذا الموروث المهم .

(٣) إن القرى القديمة الواقعة في الأراضي السروية والبدوية من بلاد بلحمر جنوباً إلى بلاد غامد وزهران شمالاً مازالت مليئة حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) بالقصور والحصون القديمة الماثلة للعيان ، لكن في أوضاع رثة ومتهالكة ، فلم تعد مكاناً للاستخدام ، ولا مرعية ومحافظ عليها من أهلها سواء كانوا أفراداً أو جماعات . ونلاحظ هيئة الآثار والسياحة منذ عدة سنوات بدأت ترمم وترعى أعداداً قليلة من هذه الآثار المعمارية ، وهذا عمل مبارك ، لكن عموم القرى والحصون والقصور القديمة تحتاج أموالاً كثيرة وجهوداً كبيرة لحفظ هذا التاريخ والموروث الحضاري العريق . أمل أن نرى هذا التراث مخدوماً بالصيانة والحفظ والرعاية .

القليلة المستوردة من حواضر المملكة العربية السعودية الكبرى مثل الأرز، والسكر، والشاي، والقهوة، والتوابل والبهارات وبعض الأطعمة المعلبة. وفي البساتين والمزارع المحلية تزرع بعض الفواكه والخضروات كالفرس، والتفاح البلدي، والعنب، والتين الشوكي (البرشومي)، والطماطم، والبطاطس، والكوسة (القرع) والقضب (البرسيم). ولا يوجد مطاعم أو أماكن للشرب والطعام إلا قرية النماص كان فيها دكان واحد يعمل فيه الوافدون من اليمن يقومون بإعداد خبز التيمس مع الشاي، وأحياناً يقدم معه الفول والجبن<sup>(١)</sup>. والنساء من يقمن بإعداد الأطعمة والأشربة في منازلهن، وفي اليوم الواحد ثلاث وجبات رئيسية قبل شروق الشمس، وفي وسط النهار، وبعد صلاة المغرب مباشرة، وأحياناً يتخللها بعض المشروبات أو الأطعمة الخفيفة. وجميع أفراد الأسرة يجتمعون على الوجبة الواحدة، وتقوم المرأة بتوزيع الطعام على أفراد أسرتها إذا كان خبزاً، وإذا كان أرزاً أو عصيداً وما شابه ذلك فقد يأكل الرجال إذا كانت الأسرة كبيرة ثم يأتي بعدهم النساء، وربما قدم الطعام في صحنين أحدهما للرجال وآخر للنساء. والرجال من يتولى ذبح الذبائح وإعداد الطعام في المناسبات والولائم الكبيرة، والنساء يساعدن بإعداد الخبز والعصيد مع الذبائح التي أشرف الرجال على إعدادها. والناس ليسوا سواسية في قدراتهم الاقتصادية، فالفقراء يقتصرون في أطعمتهم على خبز الذرة والشعير وأحياناً الحنطة. أما متوسطو الحال أو من أوضاعهم المادية جيدة فعندهم بعض الأطعمة المتنوعة في أنواعها وطرق طهيها. والكثير من أدوات الشراب والطعام صناعات محلية، وهناك من يستعمل أدوات مصنوعة من المعدن أو الفخار وأحياناً البلاستيك أو الزجاج تستورد من أسواق الحجاز ومواني البحر الأحمر الشرقية وغيرها<sup>(٢)</sup>.

كانت ألبسة الناس وزينتهم بسيطة، فالرجل صغيراً أو كبيراً يملك ثوباً أو ثوبين بالكثير، أحدهم لممارسة الأعمال اليومية، والآخر للأعياد والمناسبات الاجتماعية وصلاة الجمعة. وهناك الكثير من الأفراد يعيشون بثوب واحد، وكبار السن والشباب يغطون رؤوسهم بالغترة (الدسمال) والطاقيّة، وبعض الصغار يفعل ذلك أيضاً، وآخرون تكون رؤوسهم مكشوفة. والأحذية بسيطة مصنوعة من الجلد والبلاستيك، ولا تخلو البلاد من أسر وأفراد ميسوري الحال، فترى ملابسهم جيدة في أشكالها

(١) هذا الذي عرفته وعاصرته من عام (١٣٨٦-١٣٩٦هـ/١٩٦٦-١٩٧٦م) .

(٢) إن أهل السراة وتهامة لهم تراث وتقاليد في إعداد أطعمتهم وأشربتهم عبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث. وهناك أسماء ومفردات واصطلاحات لغوية محلية يمارسها ويعرفها أهل البلاد. كما أن عندهم وثائق وبعض الرويات التي توارثوها من أسلافهم. وجميع هذا التراث ما زال بعضه معروفاً عند كبار السن، أو معروضاً في بعض المتاحف التاريخية المحلية ويستحق أن يجمع ويدرس ويوثق.

وأنواعها. والنساء مثل الرجال في محدودية اللباس ، وغالباً تكون البسة الجميع أثواباً وأردية وأكواتاً وملاحف وأقمشة مختلفة لتغطية الرأس والجسد الخارجي . أما الملابس الداخلية فهي قليلة وأحياناً نادرة أو معدومة عند الرجال وبعض النساء . وللجنسين ملابس تخزن وتحفظ فقط للاحتفالات والمناسبات الاجتماعية العامة . ومن زينة الرجال العقال ، ولبس الأحزمة ، وحمل بعض الأدوات مثل السيوف ، والبنادق ، والخناجر . وهناك من يلبس الخواتم في اليد ، وأحياناً توضع الأقلام في الجيب ، أو تحمل المسبحة في اليد . ومنهم من يكتحل بالكحل ويتزين بحمل الريحان وبعض الروائح العطرية على الرأس وفي الجيب . وقد تلبس النظارات على العيون ، وتعالج وتلبس الأسنان بمعدن الذهب أو الفضة . ويتزين النساء بالحناء والأطياب والبخور التي تجلب من الأسواق الشعبية ، ويلبسن الخرز ، والمسك ، والحجول في العنق والأيدي . ولهن عصائب وأحزمة من الفضة أو الذهب ، ولا يملكها كل النساء ، وإنما متوسطي الحال أو الأغنياء ، وقد تستعار الحلبي من بعض النساء أثناء الزواجات والاحتفالات والمناسبات العامة . ورأيت عموم الناس في بداية الثمانينيات أكثر فقراً وأقل لباساً وزينة . ومنذ التسعينيات بدأت أحوال أهل البلاد تتحسن فصاروا يتوسعون قليلاً في أنواع ملابسهم وجودتها ، ولم يأت بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا أصبحت أوضاعهم أفضل مما كانوا عليه في السبعينيات والثمانينيات ، وصار الواحد منهم ( ذكراً أو أنثى ) يحوز أكثر من نوع من اللباس والزينة . بل شاهدت الأسواق أصبحت تعرض وتبيع أنواعاً مختلفة من البسة الجسد الداخلية والخارجية ، والكثير منها يستورد من أمكنة عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها . وأثناء تدوين هذه السطور زرت بعض الأسواق الشعبية في عسير ، والباحة ، وجازان ، ونجران . كما اطلعت على أدوات اللباس والزينة القديمة ، المعروض بعضها في الأسواق ، أو في بعض المتاحف التاريخية المحلية فوجدتها أصبحت من التراث ، فلا يقبل الناس عليها ، وإنما يشتري بعضها للذكرى كنوع من الموروث التاريخي والحضاري . أما المعروضات في المتاحف فهي فقط للاطلاع والمشاهدة<sup>(١)</sup> .

من عادات وتقاليد الأسرة والمجتمع قديماً التآلف والترابط والتعاون والتكافل . فأفراد الأسرة تراهم في تعاون مستمر أثناء ممارسة أعمالهم داخل البيوت وخارجها . وأفراد القرية أو العشيرة الواحدة يعملون في مزارعهم وحرفهم المختلفة ، وتسودهم المحبة والتآزر في جميع فنون حياتهم . وإذا مرض الواحد منهم أو جرى له ظرف أو كرب فالجميع معه ومن حوله حتى يتجاوز محنته . وقد عاصرت أبناء قريتي والدتي

(١) تاريخ اللباس والزينة في مناطق عسير ، والباحة ، والطائف ، والقنفذة ، وجازان ، ونجران خلال القرنين الماضيين (١٢-١٤هـ/١٩-٢٠م) موضوع كبير ومهم يستحق الدراسة والتوثيق . وهو يعكس جانباً من تاريخ هذه البلاد الحضاري وبخاصة بعدما كثرت الألبسة في أنواعها وأشكالها ، فأصبحت الأجيال الجديدة لا تعرف شيئاً عن هذا الموروث الحضاري المهم . كما أن توثيق الأسماء والاصطلاحات اللغوية والمفردات لتلك الألبسة وأدوات الزينة القديمة من الأعمال المهمة الواجب جمعها وتوثيقها .

ووالدي والقرى المجاورة فكانوا متعاونين متقاربين في أفراحهم وأحزانهم ، وفي استقبال ضيوفهم ، وفي مهن رعيهم وزراعتهم وغيرها <sup>(١)</sup> .

وتقاليد الزواج تبدأ من رغبة الرجل في الزواج ، ثم البحث له عن زوجة ، والوالد والوالدة أو كبير الأسرة هم من يقومون بالإشراف على سير مراحل الزواج من البداية إلى النهاية ، ولم يكن الزواج صعباً من فترة الحصول على الزوجة المناسبة حتى الدخول بها ، كما أن الزواج آنذاك كان محصوراً في الأسر أو القرى المتقاربة والمتجاورة ، وقليلاً من يتزوج من قرى وقبائل بعيدة <sup>(٢)</sup> .

كانت عادات العيد أفضل مما نشاهد اليوم ، فالناس قبل حلول العيدين بأيام قلائل يرتبون منازلهم وينظفون ما يحتاج له تنظيف من الأثاث وغيره . ويحرصون على شراء بعض الألبسة وأدوات الزينة لأفراد أسرهم . وإذا جاءت أيام العيد الثلاثة فهم يفرحون خلال النهار بالزيارات لبعضهم البعض والتجمعات وممارسة بعض الألعاب والفنون الشعبية . وكل أسرة تفتح أبواب منزلها من الصباح الباكر ، ويستقبلون الزوار من أقاربهم ورجال ونساء قراهم وبلداتهم <sup>(٣)</sup> . وكنت من سن العاشرة حتى الخامسة عشرة أذهب في أول النهار راجلاً مع والدي أو أحد أخواني لزيارة والدي وجدتي في قرية آل مقبول ، وزيارة عماتي ( جمعة وسمهاء ) في قرية شوكان بالخاضرة . ودائماً يكون معنا هدية عيدية تقدر بخمسة ريالاً ، وارتفعت إلى عشرة ريالاً في التسعينيات <sup>(٤)</sup> . وعند ذهابنا ورجوعنا نرى الناس في حركة مستمرة تسودهم الفرحة

(١) مازال التعاون والتكاتف معروفاً اليوم عند الناس ، لكن تطبيقه على أرض الواقع أصبح أقل وأضعف من الماضي . وربما توسع الناس في حياتهم العامة ، وتقارب البلدان والثقافات ، وظهور موانع وصوارف جديدة جعل هذه العادة الاجتماعية تضعف وتراجع بين الأفراد والأسر والمجتمعات .

(٢) قبائل بني شهر وبني عمرو ومتجاورة ومتداخلة في السراة وتهامة ، ومثلها قبائل بللحمر وبللسمر ، وقبائل بلقرن وشمران وختعم ، وزهران وغاميد . ولذا فهم يتزوجون من بعضهم ، ومن الأقرب في الأقرب في مواطن الاستيطان . وقد عاصرت أفراداً من بلاد بني شهر في النماص تزوجوا من قرى عمرية مجاورة أو العكس ، لكنهم في السابق لا يذهبون بعيداً حتى في القبيلة الواحدة ، وإنما من القرية أو القرى أو العشيرة أو العشائر المتجاورة وأحياناً المتداخل في المنازل والمزارع والأحمية العامة .

(٣) هذا بخلاف الوقت الحاضر فالكثير من الناس اليوم وأحياناً جميعهم يخلدون إلى النوم من بعد صلاة الفجر إلى الظهر وأحياناً العصر . وقد تحولت بمحافظتنا النماص وغيرها من بلدان منطقة عسير في عيد الأضحى من عامي (٤١-١٤٤٢هـ) فلم أجد أي نشاط أو أفراح للعيد ، واجتهدت في زيارة بعض الزملاء والأصدقاء من الساعة الثامنة إلى الثالثة عصراً في عدد من القرى بسراة محافظتي تنومة والنماص فلم أجد أحداً يفتح الباب ، وكأن بيوتهم ومرافقها خالية من البشر ، وهم فعلاً موجودون لكنهم جميعهم نائمون . وشاهدت الوضع نفسه في مدن ومحافظات أخرى في منطقة عسير (سراة وتهامة) وما جاورها .

(٤) عادة العيدية قديمة فالرجال يزورون قريباتهم أيام العيد ويهدونهن بعض النقود . والنساء يزينن أهلهن وبخاصة الوالدين والإخوان والأخوات . ويتبادل النساء الهدايا والزيارات داخل القرية الواحدة وأحياناً في القرى المتجاورة . وهذه العادة تراجعت كثيراً وأصبح الكثير من الناس يكتفي بالاتصال الهاتفي أو أي وسيلة اتصال . وقد يجتمع أفراد الأسرة أو الأسر أو القرية ليلة العيد أو الليلة الثانية ، واجتماعاتهم غالباً في الاستراحات وقاعات الحفلات التي انتشرت بكثرة في كل مكان ، ويقضون وقتاً سعيداً وفرحة بالعيد .



وبشاشة الوجوه والسلام والترحيب بكل من يقابلون أو يزورون أو يستقبلون .

و الوفاة والجنائز لها تقاليد عند أهل السراة وتهامة ، فالمرضى إذا حل به المرض اجتمعوا حوله أهله وأفراد قريته يؤنسونه ويخففون عليه آلامه وأحزانه . فإذا توفى تعاونوا في حفر قبره ، وغسله وتجهيزه في منزله ثم نقله إلى المقبرة والصلاة عليه ودفنه . ويعودون إلى منزله لإقامة مراسم العزاء لمدة ثلاثة أيام ، ولا يسلم أهل الميت من العناء والتعب الجسدي والمادي الذي ينفقونه وقت العزاء . وأحيانا يقوم الأقارب وأفراد القرية فيذبحون ثور الميت أو بعض الأغنام من مواشيه ، ويقولون هذه ( حَصْرَة ) أي صدقة على الميت . وبعض المتوفين يوصي بذلك قبل موته<sup>(١)</sup> .

لا تخلو البلاد من عادات وتقاليد أخرى ، فالقرية أو العشيرة لها نائب أو شيخ ، ومن حوله بعض الكبار والعارفين ، ودورهم ضبط الأمن في البلاد ، وإصلاح ذات البين بين المتخاصمين والمتشاحنين ، وأيضا الاتصال مع مؤسسات الدولة في بلدة النماص مثل الشرطة ، والإمارة ( المحافظة ) والمحكمة وغيرها ، من أجل الحفاظ على الأمن ومراقبة أحوال البلاد الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتعليمية . وهناك الكثير من القواعد والأعراف التي دونتها العشائر والقرى من أجل حفظ حقوق الناس ، ومحاربة ومعاينة من يسعى إلى التعدي على الغير ، تدون من قبل شيخ أو نائب القرية أو القبيلة ، ويوقع عليها رموز تلك الناحية ثم يطلع عليها القاضي أو الأمير ( المحافظ ) ويصدق على ماجاء فيها ، ويحث على الالتزام ببندوها .

وللناس فنون شعبية وترفيهية ، فالرجال يمارسون ألعاب العرصة واللعب في الزواجات ، وأيام الأعياد ، واستقبال الضيوف أو المسافرين والحجاج . ولهم موروث أدبي من الغناء والأهازيج والأشعار . وهناك بعض الأفراد الذين يحفظون أو يقولون هذا الأدب أثناء ممارسة هذه الفنون<sup>(٢)</sup> . والنساء أيضا يمارسن فنونا وألعابا شعبية

(١) تغير الحال في وقتنا الحاضر فإذا مرض المريض نقلوه إلى أقرب مركز طبي ، وإذا توفى أصدروا وثيقة تؤكد وفاته ثم ينقل إلى مغاسل للأموات في أقرب مسجد أو جامع ويغسل ويصلى عليه ثم ينقل إلى المقبرة ويدفن ، ويقوم الحاضرون بالسلام وتعزية أقاربه في المقبرة ، ثم تقام أيام العزاء في منزل الميت أو قريب منه أو في الشارع أو في استراحة ، ويقوم الأقارب والأرحام وبعض رجال القرية بإعداد الطعام والشراب لأهل الميت ومن جاء لمشاركتهم في وفاة ميتهم .

(٢) شاهدت فنون العرصة واللعب كانت في أوج نشاطها خلال العقدین الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فهناك الكثير من مناسبات الزواج واستقبال الضيوف التي حضرتها وشاهدتها في البلاد الممتدة من قرية بني رافع شمال سروات بني عمرو إلى بلدة تنومة . كان يشارك فيها مئات الرجال وهم في أحسن لباسهم مع توشحهم أسلحتهم ، ويرافقهم شعراء معروفون بقرض الشعر وقوله ، ويتخلل تلك المناسبات أوقات سمر في الليل يلعب الناس فيها ما يعرف بـ ( اللعب الشهري ) وله عشاق وشعراء يبدعون . حبذا أن نرى باحثا جادا يقوم بدراسة الفنون الشعبية في بلاد السراة من الطائف إلى نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) فذلك موضوع مهم وجديد في بابه .

متنوعة في العديد من اللقاءات والمناسبات الاجتماعية المختلفة<sup>(١)</sup>.

عرف المجتمع النماصي وما حوله من قرى وبلدات ألباً رياضياً محلية مثل السباق على الرجل أو الحمير للرجال، والقفز من مكان عال، أو القفز بشكل أفقي، أو ممارسة الصيد أو النصح<sup>(٢)</sup>، والسباحة في الآبار والعيون والأودية، ولعب كرة القماش، ثم الكرة الجلدية والبلاستيكية. وهناك ألعاب داخل البيت وأخرى خارجة مثل لعبة المقتار، أو الدسيسة وغيرها التي تحتاج إلى ذكاء وفكر<sup>(٣)</sup>. وللنساء كباراً وصغاراً ألعاب نسوية خاصة بهن يمارسنها في المنزل، أو أثناء رعي الأغنام. ومن أكثر الألعاب التي شاهدت النساء يمارسنها، لعبة الملاقطة، لعبة يشترك فيها لاعبان، وأدوات اللعبة حجارة صغيرة ترمى في الهواء ويلتقط غيرها مع الحرص على التقاف الحجر الذي تم رميه، وإذا سقط في الأرض يهزم اللاعب، أو اللاعبة، وغيرها من الألعاب البسيطة في أدواتها وأدواتها<sup>(٤)</sup>.

جل حياة الناس في سروات بني شهر وبني عمرو خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م) الصيد، والرعي، والزراعة، وممارسة بعض الحرف والمهن التقليدية، ونادراً منهم من يعمل في التجارة<sup>(٥)</sup>. وكانت مهنتا الزراعة والرعي العمل الرئيسي

(١) كانت حياة المرح والترفيه في السابق جميلة ونظيفة، فالهدف منها الترويح عن النفس وجلب المنفعة البدنية لكل من يمارس تلك الفنون، أو الجماهير الذين يشاهدون تلك الألعاب والرقصات الشعبية. وفي وقتنا الحاضر تراجع الاهتمام بذلك الفن الجميل (العرضة، والطرق واللعب، والدمه، والخطوة، وغيرها)، ودخل البلاد فنون وألعاب دخيلة فلا طعم لها ولا نكهة، وهي خالية من الفن والأدب المحلي الجميل الذي كان يمارسه الأوائل. بل إن الأجهزة التقنية جلبت معها أغاني وموسيقى أجنبية لا قيمة لها في بناء الفرد المحلي والحفاظ على تراثه وهويته الأصلية. حبذا أن يدرس التراث والفن الشعبي القديم ثم يقارن مع ما نراه ونسمعه ونشاهده اليوم مع توضيح الإيجابيات والسلبيات لكل عصر وفن مع توخي الإنصاف والحيادية.

(٢) النصح: وضع هدف من الخشب أو الحجارة على مسافة معينة ثم يرميه اللاعب عن بعد ببعض الحجارة، فإذا أسقطه يكون قد فاز، وإذا لم يستطع إسقاطه يصبح مهزوماً. وقد تستخدم البنادق في نصح (إسقاط) هذا الهدف لكن من مسافة أبعد ممن يستخدم اليد.

(٣) دونت شيئاً من هذه الألعاب الرياضية في بلدان عديدة من تهامة والسرارة، وهي منشورة في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٣) مجلداً، وفي كتب منطقة الباحة، جزء واحد ومنطقة جازان (جزءان)، ومنطقة نجران، جزء واحد، وبلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ) (الطبعة الرابعة/١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).

(٤) عملت في رعي البهائم أو الغنم خلال الثمانينيات، كما عملت في حماية الزروع من الطيور والغربان في الوقت نفسه حتى بداية التسعينيات. وكنت أجلس مع الكثير من رجال ونساء قريتي ورأيتهم يمارسون ألعاباً بدائية وبسيطة أدواتها من الطبيعية مثل الحجارة، والأخشاب، وأحياناً القماش الخلق وغير ذلك، وهدفهم قضاء أوقات مرح وترفيه وأيضاً عدم الركون إلى النوم والكسل.

(٥) للمزيد عن تاريخ هذه البلاد خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، انظر، كتاب: بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٤١٣هـ) (الطبعة الرابعة/١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) (٥٧٤صفحة). وفي موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) دراسات عديدة عن بلاد السرارة، ولهذه البلاد (بني شهر وبني عمرو)

ذكر فيها. انظر موقعي الإلكتروني (Prof-ghithan.com)

لجميع الناس أو معظمهم . فالسكان الذين يقطنون أعالي السروات من تنومة إلى قرية بني رافع في الشمال يعملون في الزراعة والكثير منهم يملكون أغناما وأبقارا وجمالاً كثيرة<sup>(١)</sup>. وقد تراجعت الزراعة والرعي مع مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى صارت اليوم من المهن الثانوية ليس في محافظة النماص وإنما في عموم بلاد تهامة والسراة<sup>(٢)</sup>.

والحرف التقليدية والمهن اليدوية موجودة في كل منزل وقرية ، فالكثير من الحرف مثل طهي الطعام ، وغسل الملابس ، وتنظيف المنازل ، وخياطة الملابس وصباغتها ، والحلاقة ، وذبح الذبائح ، ودهان البيوت وتزويقها ، ومراقبة الزروع وحمايتها وغيرها من المهن تمارس من قبل عامة الناس ، فكل رب أو ربة أسرة تقوم بعمل ما يحتاج أفراد أسرهم ، والأبناء والبنات والإخوان والأخوات يساعدون في هذا الشأن<sup>(٣)</sup> ، وهناك مهن أو صناعات يدوية مثل الحدادة ، والصياغة ، والنجارة ، وأحياناً الخياطة ، وصناعة الفخار والأحجار ، وبناء المنازل والقصور ، والدباغة والخرازة وغيرها فهذه الحرف لها متخصصون مهنيون يقومون بمزاوتها في منازلهم ويعرضون مصنوعاتهم للتجارة ، ومنهم من يذهب إلى منازل من يحتاجهم وينجزون ما يطلب منهم بمقابل مادي ، وبعضهم يأخذ جزء من الأجر ، والجزء الآخر يقدمه عوناً ومساعدة لصاحب العمل<sup>(٤)</sup>.

(١) في الفترة المذكورة في هذا المحور (١٢٧٩-١٢٩٦هـ) وما سبقها كانت هذه البلاد من أغنى البلاد في الزراعة والثروة الحيوانية . فالزراع ومحاصيلها المتنوعة هي العمود الفقري لأهل البلاد ، كانت تكفيهم في حياتهم المعيشية ، ويصدرون بعض حيوبهم إلى الأسواق الأسبوعية . والوضع نفسه على ثرواتهم الحيوانية كانت كثيرة ويصدر الكثير منها إلى جميع المناطق المجاورة إلى مدن الحجاز الرئيسية .

(٢) تاريخ هاتين المهنتين ( الزراعة والرعي ) منذ فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضر في أنحاء السروات وتهامة لم يخدم بحثياً وتوثيقياً . وقد زرت أمكنة كثيرة . واطلعت على مصادر ومراجع عديدة فوجدت الكثير من المصادر التراثية والأثرية المادية التي تساعد من يعكف على بحث ودراسة هذه الجوانب . أمل أن نرى باحثاً أو أحد طلاب الدراسات العليا فيدرس هذا الميدان دراسة مطولة وموثقة . وهناك الكثير من الوثائق الحديثة المحلية عند بعض الأفراد والأسر وفيها مادة علمية جديدة تدور حول حياة الزراعة والمزارعين والثروات الحيوانية . وقد جمعت بعضاً من هذه المصادر خلال الأربعين عاماً الماضية ، أمل أن أجد الوقت الكافي لدراستها ونشرها .

(٣) قضيت بداية حياتي بين أسر وقرى ريفية ، وشاهدت أيضاً جماعات وقرى في الأجزاء الشرقية والتهامية من سروات بلاد الحجر ، فكانوا جميعهم يعتمدون على أنفسهم في توفير أغراضهم ومستلزماتهم . وكانت ظاهرة التعاون والتكافل تغشاهم في كل أعمالهم اليومية ، فهم يساعدون بعضهم بعضاً في تبادل المنافع والأدوات التي تساعدهم على ممارسة مهنتهم وحرفهم التقليدية . وتاريخ الحرف اليدوية في البلاد التهامية والسروية خلال العصر الحديث ( ق ١٠هـ - ق ١٥هـ / ق ١٦هـ - ق ٢٠م ) موضوع لم يدرس ، حبذا أن يوثق في عدد من الكتب والبحوث العلمية .

(٤) عرفت الكثير من الأفراد والأسر التي مارست العديد من الصناعات التقليدية في البلاد الممتدة من بلاد بلقرن شمالاً إلى سروات بلسمر جنوباً . وكانوا في نهاية القرن الهجري الماضي ( ١٤هـ / ٢٠م ) العمود الفقري لعامة الناس فهم الذين يصنعون أدواتهم الحديدية ، والخشبية ، والحجرية والفخارية . والجلدية ، والمعدنية وغيرهم . بل كانوا أعلاماً علمية في مجال تخصصاتهم وحرفهم . وما زال الكثير من أبناء وأحفاد هذه الأسر يعيشون في هذه البلاد الأنف ذكرها ، لكنهم تخلوا عن مهن وصناعات آبائهم وأجدادهم ، بسبب التنمية والتطور الذي ساد أنحاء البلاد السعودية ، ثم دخول الآلة الصناعية التي حلت محل اليد العاملة ، وبالتالي صار التراث الذي صنعه وأنجزته تلك الأجيال من التراث والأثار التاريخية . وهو

لم تكن التجارة نشطة في القرن الهجري الماضي، فسكان القرى يعيشون حياة البساطة ويقتاتون من مزارعهم وحيواناتهم، وعند أهل البلاد العديد من الأسواق الأسبوعية كسوق ثلاثاء بني عمرو في قرية آل الشيخ، وربوع السرو ناحية السرو، وثلاثاء عمارة في قرية ابن جميل في حلباء، وخميس كفاف في العرق والخضراء بالتناوب، وثلاثاء النماص في بلدتي النماص وبني بكر بالتناوب، واثنين العوامر، وسبت تنومة، واثنين بللمسر<sup>(١)</sup>. وفي تهامة بني شهر وبني عمرو عدد من الأسواق مثل: سوق الأحد في خاط، وسوق أحد عبس في بلاد عبس، واثنين المجاردة، وأحد ثربان في بلاد ثربان، وثلاث المنظر في بلاد الشهرية وغيرها<sup>(٢)</sup>.

كانت هذه الأسواق القديمة متنفساً لأهل القرى والبلدات والأرياف فهم يحرسون على الذهاب إليها والتزود منها لما يحتاجونه لمنازلهم وأسرههم. وهناك بعض الأفراد أو الأسر التي تعمل في التجارة فهم ينقلون بضائعهم إلى الأسواق من أجل عرضها والمتاجرة فيها. ورأيت بعض الأفراد المجاورين لبعض الأسواق التي زرتها في الثمانينيات والتسعينيات فهم يمتلكون دكاكين تؤجر على بعض التجار، أو يستخدمونها لعرض تجاراتهم فيها<sup>(٣)</sup>.

مما شاهدته في بعض أسواق السراة وتهامة من عام (١٣٨٦-١٣٩٦هـ/١٩٦٦-١٩٧٦م)، مثل سوق الثلاثاء في النماص، وسوق كفاف في العراق والخضراء، وسوق سبت تنومة، وسوق الأحد في خاط. إن جل المتسوقين في هذه الأسواق من القرى المجاورة في سروات وتهامة بني شهر وبني عمرو، وقليل من يرتادها من خارج هذه البلاد. والبضائع المعروضة من التجارات المحلية مثل الحبوب، والمواشي ومنتجاتها كالسمن البلدي، والجلود المحلية، وبعض المصنوعات الحديدية والخشبية والفخارية المحلية. وهناك سلع مستوردة من مدن وحواضر كبرى داخل شبه الجزيرة العربية

صفحة من تاريخ هذه البلاد في القرون الماضية، والواجب دراسة أعلامه وطرق ممارسة تلك الحرف والمهن وتوثيقها بالصور الفوتوغرافية في عدد من البحوث العلمية.

(١) زرت معظم هذه الأسواق في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانت آنذاك في أوج نشاطها التجاري والتقا في والحضاري. وهذه الأسواق موضوعات بكر لم تدرس حبذا أن يوثق تاريخها خلال العصر الحديث (ق١٠-ق١٥هـ/ق١٦-ق٢٠م).

(٢) منذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) وأنا أتجول في بلاد السراة وتهامة من جازان ونجران إلى مكة والطائف، وحضرت عشرات الأسواق الأسبوعية في هذه البلاد، وبعضها يعود تاريخها إلى عصر ما قبل الإسلام، وأخرى في العصر الإسلامي المبكر والوسيط، وبقيت تعمل إلى العصرين الحديث والمعاصر. كما وقفت على بعض الأسواق في الطائف ومناطق الباحة وعسير ونجران فوجدت أنها قديمة جداً، ولها ذكر في بعض كتب التراث المبكرة. وهذه الأسواق في هذه البلاد مازالت بحاجة، إلى من يتقرب عن آثارها ويدرس ويوثق تاريخها عبر عصور التاريخ الإسلامي.

(٣) عرفت الكثير من تلك الدكاكين والأمكنة في سوق الثلاثاء بالنماص، وسوق اثنين العوامر، وسوق سبت تنومة خلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم زرت هذه الأسواق في ثلاثينيات هذا القرن فوجدتها اندثرت، وبعضها تلاشى فلم نجد منها شيئاً.

وخارجها مثل الأقمشة ، والقهوة ، والتوابل ، وبعض أدوات الزينة ، والأسلحة ، والأرز والشاي وغيرها<sup>(١)</sup> .

عاصرت وعرفت بعض الأسعار في الأسواق وغيرها ، فالرأس من الضأن والماعز يتراوح سعره من (٥- ١٥٠) ريالاً من بداية الثمانينيات إلى منتصف التسعينيات<sup>(٢)</sup> . والجمل يباع من (٤٠- ٣٠٠ ، و٤٠٠) ريال ، والثور أو البقرة من (٢٠ إلى ٢٠٠ ، و٢٥٠) ريالاً . والأطعمة من الحبوب ، والأرز ، والقهوة ، وغيرها من ريال وريالين إلى خمسة وربما عشرة ريالات . والألبسة تتراوح من الريالات المحدودة إلى العشرة والعشرين للبسة الواحدة .

كانت أسعار الأراضي والمنازل رخيصة جداً فقد يباع منزل أو أرض عثرية أو مسقوية متوسطة الكبر في بداية الثمانينيات بريالات معدودة ، وقد تباع بالمقايضة في طعام وشراب<sup>(٣)</sup> . وزادت أسعارها في بداية التسعينيات إلى مئات وأحياناً آلاف محدودة . وفي نهاية القرن (١٤هـ/ ٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) قفزت أسعار بعض الأراضي السكنية والزراعية والمنازل في مدينة النماص وبعض حواضر بني شهر وبني عمرو إلى عشرات الآلاف ، وربما وصل بعضها إلى مئات الآلاف حسب مساحتها وموقعها .

لم يكن هناك أجرة نقدية في بداية الثمانينيات ، وإنما يعطى العامل أجرته من الحبوب والمحاصيل الزراعية<sup>(٤)</sup> . وقد اطلعت على أسماء مدرسين ، وبعض موظفي الدولة في النماص وغيرها من بلدان بني عمرو وبني شهر فكانوا يعطون رواتبهم بالقروش ثم الريالات التي تقدر بالعشرات ، وقليل منهم من يكون راتبه في خانة المئات . وفي نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات ارتفعت الرواتب والأجور إلى مئات الريالات<sup>(٥)</sup> .

(١) تاريخ الصادرات والواردات في سروات وتهامة عسير خلال القرون الثلاثة الماضية موضوع جديد يستحق أن يدرس في أكثر من رسالة أو عمل علمي موثق .

(٢) من منتصف التسعينيات في القرن (١٤هـ/ ٢٠م) بدأت الأسعار ترتفع ، لأن أحوال الناس المادية . سارت في الصعود والتحسّن . ومن يقارن ذلك الزمن مع وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م) فليس هناك وجهة مقارنة فالأسعار حالياً ارتفعت في كل شيء عشرات المرات .

(٣) هذا ما وجدته في بعض الوثائق التاريخية المحلية ، وأخبرني به بعض الآبار والأجداد في سروات بني عمرو وبني شهر . ويقال أن هناك أراض زراعية مسقوية بيعت في نهاية عام (١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م) بصاع من الحب ، وأخرى بريال أو نصف ريال .

(٤) بخاصة الذين يعملون في بعض المهن المحلية مثل حرفة البناء ، ومهن الحدادة ، والنجارة ، والدباغة والخرافة ، وأحياناً الخياطة والحلاقة وغيرها .

(٥) هناك عشرات الوثائق التي نشرتها في عدد من مؤلفاتي خلال الثلاثين عاماً الماضية ، وفيها مادة علمية تعكس مقدار الأجور والرواتب في منطقة عسير منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) إلى ثمانينيات القرن نفسه .

ونقل البضائع والمسافرين تقدر في بداية الثمانينيات بالقروش، وارتفعت إلى ريالاً محدودة في نهاية العقد نفسه. وفي منتصف التسعينيات صارت أجرة الراكب من النماص إلى أبها والطائف تتراوح بين العشرة والعشرين ريالاً، وربما ارتفعت إلى الثلاثين ريالاً إلى الطائف ومكة المكرمة<sup>(١)</sup>.

وهناك من كان يؤجر بعض الحمير لنقل بعض البضائع من السراة إلى تهامة أو العكس. وكذلك الجمال في الأجزاء الشرقية، وأجرة الجمل أو الحمار مع صاحبه قد تصل إلى خمسة وعشرة وربما عشرين ريالاً وأحياناً تعطى الأجرة عينا من السلعة التي يتاجر بها مثل الحبوب، والبطاطس وغيره<sup>(٢)</sup>.

عندما كنت طالباً في مدارس بلدة النماص في ثمانينيات التسعينيات من القرن (١٤/هـ/٢٠م) أشعر بالراحة والغبطة أيام سوق الثلاثاء في قرية النماص، حيث كنا نعطي بعض الوقت القصير من إدارة المدرسة للذهاب إلى السوق الذي كان على مقربة من مدرستنا فنرى جموع الناس تتحلق حول البضائع المختلفة، والسوق مقسم إلى أقسام عديدة حسب نوع السلعة. فهناك قسم للحبوب، وآخر للتمور، ثم البهائم، والأسلحة وأدوات الزينة، والأقمشة والألبسة، وبعض الفواكه التي تصدر إلى السوق. وأهل البلاد من يقوم على ممارسة البيع والشراء، وأغلب المتسوقين من الرجال، وهناك بعض النساء الكبيرات اللاتي يرتدن السوق لشراء بعض احتياجاتهن. وأغلب المتسوقين يأتون مشياً على الأقدام، ومنهم الذي يمتلك حماراً لركوبه وحمل الأثقال عليه، والسيارات كانت محدودة وقليلة، لكنها موجودة، فيجلب عليها الكثير من السلع والبضائع التي تصل إلى النماص عن طريق ببشة.

وطرق المواصلات قليلة جداً ومحدودة، وأشهرها الطريق الرئيسي الذي يأتي من الطائف إلى ببشة ثم العلاية فالنماص، وطريق آخر من الطائف إلى النماص. وكانت جميعها صعبة ووعرة حتى بداية هذا القرن (١٥/هـ/٢٠م)، أما الطرق الأخرى فهي طرق مشاة تسير في كل اتجاه، ولا يسلكها إلا الدواب والناس مشياً على الأقدام<sup>(٣)</sup>.

كان السوق جامعة للناس، فهم يمارسون أعمالهم الاقتصادية، ويعيشون حياة اجتماعية يسودها الحب والإخاء، فيتبادلون الأخبار في بلدانهم، وتعلن الحكومة بعض

(١) هذا ما عرفته وعاصرته أثناء سفري من النماص إلى أبها، أو الطائف. وقد تزيد الأجرة قليلاً إلى الرياض والمنطقة الشرقية.

(٢) وقتت على ذلك عندما كنت أذهب مع عمي محمد أبو مارق من سروات النماص إلى أحد خايطي في نهاية الثمانينيات من القرن (١٤/هـ/٢٠م).

(٣) طرق المواصلات في عموم سروات خلال العصر الحديث حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) موضوع مهم جداً أن يدرس مع مقارنة أحوال المواصلات قديماً وحديثاً.

إعلاناتها الثقافية والرسمية ، وهناك من يرتقي مكاناً عالياً من الدعاة وطلبة العلم فيدعون الناس إلى فعل الخير والالتزام بالأطر الشرعية التي تهديهم إلى صلاح الدنيا والآخرة ، وقد تعلن بعض الأخبار الأمنية والتنظيمية لمصلحة البلاد والعباد<sup>(١)</sup> .

كانت الأوضاع الصحية متواضعة في أنحاء البلاد ، فلم يكن هناك مراكز طبية ، إلا مركزاً واحداً في قرية النماص خلال الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وخدماته وإمكاناته محدودة ، ويعمل فيه فقط طبيب واحد ومعه ممرض وفراش ، كان هذا الطبيب يمر على طلاب المدارس من أجل تطعيمهم ضد بعض الأمراض مثل السل ، والكوليرا ، والسعال الديكي ، والحصبة<sup>(٢)</sup> . وعموم الناس في القرى والبوادي والأرياف يتداوون بالكيف بالنار .

عاصرت صوراً من تاريخ التعليم والتعلم الحديث في سروات بني عمرو وبني شهر ، ففي نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات كان في هذه البلاد أكثر من ثلاثين مدرسة نظامية معظمها مراحل ابتدائية ، ومدارس مرحلتى المتوسطة والثانوية قليلة جداً<sup>(٣)</sup> . كما عرفت وزرت بعض المدارس الابتدائية في سروات النماص مثل المدرستين السعودية والخالدية في قرى بني بكر والنماص ، ومدرسة لشعب في قرية لشعب الكعبية العمرية ، ومدرسة سبت تنومة<sup>(٤)</sup> ، ويذكر أنه كان هناك مدارس أخرى عديدة لم أشاهدها بل سمعت عنها<sup>(٥)</sup> .

إن مدارس النماص التي عرفت ودرست فيها ( الابتدائية ، والمتوسطة ، والثانوية ١٣٨٥-١٣٩٦هـ/١٩٦٥-١٩٧٦م) ، كانت جميعها في قرية النماص ، وفي مبان مستأجرة للأستاذين عبدالعزيز بن زاهر العسبلي ، ومحمد بن ظافر بن متعب الكلثمي<sup>(٦)</sup> .

(١) عاصرت وشاهدت تلك النشاطات الحضارية والثقافية التي كانت تمارس في سوق الثلاثاء بالنماص ، وسوق سبت تنومة في بداية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٢) للمزيد من التفاصيل عن تاريخ الأرض والناس في محافظة النماص وما جاورها انظر غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ) ( الطبعة الرابعة ، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م ) (٥٧٤صفحة) . وانظر للمؤلف نفسه ، عسير : دراسة تاريخية حضارية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م) ( جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ص ١٠٥-١٠٧ ، وللمؤلف أيضاً ، دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية. (الجزء الأول والثاني) ( الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٢٤هـ/٢٠١٣م) ، ص ٩٩-١٧٨ .

(٣) تاريخ التعليم في محافظة النماص ، أو سروات بني عمرو وبني شهر موضوع جريد ومهم لم يدرس منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، أمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الميدان المهم .

(٤) زرت هذه المدارس مع أساتذة وطلاب مدرستي المتوسطة في النماص في بداية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٥) من تلك المدارس (١) مدرسة المجاردة في تهامة . (٢) مدارس الخضراء ، والظاهرة ، وشمال السرو ، وبني مشهور ، وحلباء ، وآل زيدان ، والأصفاة ، وعاكسة ، ومليح ، والعدوة . وجميعها في سروات بني شهر وبني عمرو . للمزيد من التفاصيل انظر غيثان بن جريس تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م) (جدة : دار البلاط للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، ج ١ ، ص ٦٣-٦٩ .

(٦) كنت أعيش في قرية والدي ( قرية آل رزيق ) شمال بلدة النماص بحوالي أربعة أكيال ، وتقع على الطريق العام الذي يربط بين الطائف والباحة مع أبها . وهذه القرية إحدى قرى بني جبير الثوابية الشهرية الحجرية الأزدية .

وهذان العلمان كانا المديرين لتلك المدرستين ، عبد العزيز بن زاهر في المرحلة الابتدائية<sup>(١)</sup> ، ومحمد بن متعب للمرحلتين المتوسطة والثانوية<sup>(٢)</sup> ، والأستاذ ظافر بن منصور القشيري تولى إدارة مرحلتي المتوسطة والثانوية لوقت وجيز ، ثم صار مديراً لمعهد المعلمين في بلدة النماص<sup>(٣)</sup> .

من خلال قراءتي وما سمعته عن التعليم النظامي في سروات بني عمرو وبني شهر ، إن الأستاذ محمد أحمد أنور أول من افتتح مدرسة نظامية في بلدة النماص عام (١٣٥٩هـ/١٩٤٩م) وقد فصل ذلك في بعض رسائله التي أرسلها لي ونشرتها في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، الجزء الأول<sup>(٤)</sup> . وكتاب: من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية (محمد أحمد أنور)<sup>(٥)</sup> . وجاء معه وبعده عدد من المدرسين مثل الأستاذين أحمد ناجي ، وإبراهيم الحميضي ، ثم جاء بعدهما عدد من المعلمين السعوديين قبل معهد المعلمين كأستاذ عبد العزيز بن زاهر ، الذي سبق ذكره ، والأساتذة إبراهيم بن عثمان الوليدي ، وفائز بن محمد البكري ، ومحمد بن عبد الرحمن بن ظافر العسبلي ، ومحمد بن أحمد الحفظي ، وعلي بن عثمان الشهري ، وإبراهيم بن عائض الشهري<sup>(٦)</sup> .

(١) الأستاذ عبد العزيز بن زاهر العسبلي من قرية النماص ، ومن أوائل المتعلمين في سروات النماص عمل في التدريس سنوات عديدة ، ثم انتقل إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتوفي في ثلاثينيات هذا القرن (٢٠/هـ/٢٠م) .

(٢) الأستاذ محمد بن ظافر بن متعب الكلثمي من أعيان قبيلة الكلازمة ، سكان مدينة النماص ، عمل في التعليم مدة حياته الوظيفية ، كان جادا وحازما يحرص على مصلحة الطلاب ، ولا يتوانى في إنزال العقوبات على من يتهاون في دراسته وأداء واجباته . كان يحمل المرحلة المتوسطة عندما كان مديراً لنا في المرحلة المتوسطة ، وأثناء دراستي الثانوية (١٣٩٢-١٣٩٦هـ/١٩٧٣-١٩٧٦م) كان يواصل المرحلة الثانوية ، وقد اختبر مع طلاب الثانوية بالنماص في السنة الأولى ، وهو وقتها مديراً للمتوسطة ، وفي السنة الثانية صار مديراً للثانوية ، فأصبح يكمل دراسته ويختبر ، حسبما علمت ، في ثانوية الطائف . وعندما كنا ندرس مرحلة البكالوريوس في أبها ، كان أيضاً يدرس المرحلة نفسها منتسباً في كلية الشريعة واللغة العربية بأبها . كان (رحمه الله) ذا شخصية وهيبة قوية على الطلاب والمعلمين ، وله جهود تذكر فتشكر في خدمة حاضرة النماص تربوياً وتعليمياً .

(٣) الأستاذ ظافر بن منصور القشيري من أوائل من حصل على درجة البكالوريوس في سروات بلاد بني شهر ، تولى إدارة مدارس النماص وبخاصة المعهد العلمي لسنوات عديدة ، وما زال على قيد الحياة الآن ، وهو منذ زمن حتى اليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) شيخ قبيلة بني قشير الشهرية الحجرية . حبذا أن يدون مذكراته وكيف عاصر التعليم في بلاد بني شهر منذ بداية النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) .

(٤) تم طباعة هذا الجزء طبعتين ، الأولى (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) (٥٦٧صفحة) . والطبعة الثانية (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (٥٦٣صفحة) .

(٥) طبع هذا الكتاب أيضاً طبعتين ، الأولى (١٤٢١هـ/٢٠٢٠م) (٦٢٥صفحة) . والطبعة الثانية (١٤٢٧هـ/٢٠١٦م) (٥٨٧صفحة) .

(٦) سمعت عن بعضهم ، والبعض الآخر عرفتهم ودرست على أيديهم مثل فائز بن محمد البكري ، ومحمد بن عبد الرحمن العسبلي ، ومحمد بن أحمد الحفظي . وبعضهم مازالوا على قيد الحياة إلى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) وآخرون توفاهم الله . وأسأل الله عز وجل أن يغفر للأمتوات والأحياء فقد كانوا قامات جيدة في أخلاقهم وحرصهم على نشر العلم والفكر والثقافة في مدارسهم وبين الناس المعاصرين لهم .



يعد تأسيس معهد المعلمين المتوسط في النماص في بداية الثمانينيات درس فيه مجموعة من طلاب سروات بني شهر وبني عمرو ، وتخرج في الدفعة الأولى (١٧) طالبا ، هم على النحو الآتي : (١) تركي بن شاكر العسيلي . (٢) حسن عبد الله مفرح آل عليم . (٣) خالد محمد عبد الله العسيلي . (٤) سعيد عبد الرحمن عقيل . (٥) سلمان عبد الرحمن العمري . (٦) ضيف الله سعد ضيف الله . (٧) ظافر عبد الرحمن عبد الله آل مانع . (٨) ظافر فائز مفرح الشهري . (٩) عبد الرحمن محمد عبد الله العمري . (١٠) علي عبد الرحمن فهد . (١١) غرسان مشبب غرسان . (١٢) غرم ظافر محمد متعب . (١٣) محمد عائض عبد الرحمن عاطف . (١٤) محمد عبد الله حمدان . (١٥) محمد عثمان مرشد . (١٦) محمد يحيى عبد العزيز العمري . (١٧) يحيى جابر حسن<sup>(١)</sup> .

وهم مع من سبقهم من قاد العملية التعليمية النظامية خلال الثمانينيات وبداية التسعينيات ، ثم تلاهم مدرسون خريجون آخرون من نفس المعهد ، انضموا إلى سلك التعليم ، وزادت المدارس ، وتزايد أعداد المتعاقدين العرب ، وكان الفلسطينيون والأردنيون هم الأكثر ، ثم جاء العراقيون ، والمصريون ، والسودانيون ، والسوريون . وهناك بعض الأجانب من أوربا الذين استقدموا لتدريس اللغة الإنجليزية في تسعينيات القرن (١٤/هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥/هـ/٢٠م)<sup>(٢)</sup> .

لم يكن التعليم محصوراً في حصص الدراسة اليومية ، إنما كان هناك نشاطات لاصفية عديدة مثل الرحلات المدرسية في نواحي شعبان وبدعة في سروات النماص<sup>(٣)</sup> ، وذهبنا أوائل التسعينيات في رحلات إلى متنزهاة تنومة ، ورحلة أخرى إلى أرياف مدينة أبها الشمالية الواقعة على الطريق الرئيسي الذي يخرج من أبها تجاه النماص<sup>(٤)</sup> . كان

(١) هؤلاء الأساتذة خدموا بلادهم وأدوا الأمانة وعملوا جاهدين في خدمة وتطوير التعليم النظامي في سروات بني شهر وبني عمرو ، وقد عاصرت وعرفت أغلبهم في ثمانينيات وتسعينيات القرن (١٤/هـ/٢٠م) وما زال أغلبهم على قيد الحياة . حبذا أن نرى باحثاً جادا يدون سيرهم ومن سبقهم في ميدان التربية والتعليم في سروات بلاد الحجر ، وهم يستحقون أن يخلدوا وتكتب تراجمهم في بحوث ودراسات علمية موثقة .

(٢) هذا الذي عرفته وعاصرته ، وقد درسنا عدد من المعلمين المبدعين في تحصيلهم العلمي ، واذكر منهم الأستاذين محمد أبو الرب ، وجميل السقا اللذين درسنا في الابتدائي . والأستاذين إسماعيل ونمر فلسطيني الجنسية في المتوسطة . والأستاذ محمد زهير البارودي في الثانوية . وغيرهم كثيرون لكنني نسيتهم ، أسأل الله أن يغفر لمن علمنا ويرحمه ويتجاوز عنه حيا أو ميتا .

(٣) ناحيتنا بدعة وشعبان من الأمكنة ذات المياه الوفيرة ولغطاء النباتي الكثيف والجميل غرب بلدة النماص وفي أجزائها الشرقية . وما زالت معروفة بأسمائها المذكورة أعلاه حتى الآن (١٤٤٣/هـ/٢٠م) ، لكن طبيعتها لم تعد جميلة كما كانت في السابق ، وإنما اندثرت معالمها ، وتحولت إلى مواطن سكنية ، وأصاب أجزاء منها الجفاف والتصحر .

(٤) ذهبنا في سيارات قوية ذات دفع رباعي لأن الطريق كانت وعرة ، وما زال معظمها ترابيا . لكنها كانت أياماً جميلة بجمال الأرض واخضارها .

المعلمون يدرّبوننا على بعض المسرحيات الطلابية، وعلى كتابة اللوحات الجدارية التي تعلق في ممرات المدرسة، وفيها من القصص والأشعار والموضوعات العلمية والأدبية القصيرة والنافعة لتكوين شخصيات الطلاب الثقافية<sup>(١)</sup>. وهناك أنشطة ومباريات رياضية تقام في المدرسة بين الحصص الدراسية أو في العصر في فناء المدرسة، أو بعض الأمكنة المخصصة لعب كرة القدم الطائرة<sup>(٢)</sup>.

وهناك بعض القراء والمطالعة الذين يأتون من الحجاز وأبها والقنفذة والبرك وغيرهما ويلتقون بالناس في مساجدهم، وأسواقهم، وبعض تجمعاتهم فيلقون عليهم الدروس والمواعظ<sup>(٣)</sup>. وأحياناً يمر بالبلاد بعض اليمينيين الذين يمتلكون بعض المعارف العلمية والشرعية والثقافية فيفقهون الناس في أمور دينهم<sup>(٤)</sup>، وكان للراديو وبدايات التلفزيون أثر إيجابي في توعية الناس وتوسيع مداركهم الثقافية والمعرفية<sup>(٥)</sup>.

في الفترة الممتدة من (١٢٨٦-١٣٩٦هـ/١٩٦٦-١٩٧٦م) أصبحت حركة السفر والتقل من سروات وتهامة رجال الحجر إلى غيرها من البلدان أفضل مما كانت عليه في عقود سابقة. وقد سافر الكثير من شباب هذه الناحية إلى مدن المملكة العربية السعودية الكبيرة من أجل الحصول على أعمال ووظائف حكومية. والكثير منهم التحقوا بأعمال عسكرية وأخرى مدنية. كما ذهب آخرون للدراسة في كليات ومعاهد وجامعات في المناطق الوسطى، والشرقية، والغربية<sup>(٦)</sup>. وكان لهؤلاء المسافرين علاقات

(١) أذكر بعض المعلمين المتعاقدين الذين كانوا يقرضون الشعر ويكتبون القصص والروايات، وعندهم فكر وثقافة واسعة، وقد استفدنا كثيراً من بعضهم في قراءة بعض الكتب والمجلات النافعة.

(٢) تاريخ الرياضة القديمة والحديثة في بلاد السروات وتهامة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات المهمة الجديرة بالبحث والتوثيق. وقد جلبت لنا العديد من الرياضات التي جاءت من المدن الكبيرة في المملكة العربية السعودية أو من خارج البلاد. وكان هناك رياضيون ولاعبون من سروات بني شهر وبني عمرو حققوا نجاحات ومراتب متقدمة مع فرق رياضية عديدة في منطقة عسير.

(٣) شاهدت العديد من الأعلام الذين كانوا يقومون بهذه النشاطات في الأسواق الأسبوعية، وفي يوم الجمعة في بعض جوامع البلاد.

(٤) رأيت في قرى قبيلتي وما جاورها بعض الرجال اليمينيين المسافرين الذين يتوقفون في مساجد تلك القرى ويلقون بعض المواعظ على المصلين أو من يجتمع معهم في بعض مجالس السمر واللقاءات الاجتماعية.

(٥) لم تكن الثقافة والعلوم منتشرة في كل مكان، وإنما كانت قليلة ومحدودة في القرى والبلدات الكبيرة. كما أن الراديو والتلفزيون الأبيض والأسود عند بعض الأسر الغنية والمتعددة مادياً، وفي التجمعات السكانية الكبيرة مثل: بلدتي النماص، وسبت تنومة وقرى أخرى محدودة وقليلة. كما كان عند بعض الأسر والوجهاء أو المدرسين وغيرهم كتب أو مكتبات صغيرة تحتوي على بعض كتب الشريعة والأدب والتاريخ واللغة العربية. وقد شاهدت بعض هذه الصور الحضارية في بلدة النماص وعند بعض أئمة المساجد والمعلمين المتعاقدين

(٦) عرفت وعاصرت العديد من شباب ورجال سروات بني شهر وبني عمرو ممن سافروا إلى أوطان عديدة في أنحاء المملكة العربية السعودية، وعملوا في قطاعات حكومية عديدة، وعلا شأن بعضهم في وظائفهم. شاهدت الكثير منهم أثناء سفرات متباعدة قمت بها في الفترة من (١٣٨٦-١٣٩٦هـ/١٩٦٦-١٩٧٦م) وبخاصة في مدن بيشة، والطائف، ومكة المكرمة، والرياض، والظهران والدمام ورأس تنورة في المنطقة

مع أوطانهم ، فهم يعودون إليها بين الفينة والأخرى لزيارة أسرهم ، والاستمتاع بإجازاتهم في بلادهم وأوطانهم الرئيسية . ولهذا الذهاب والإياب آثار إيجابية على أرض وسكان السروات وتهامه . فعند عودتهم إلى ديارهم يجلبون معهم فنونا ومعارفا حضارية في اللباس ، والطعام والشراب ، وفي التعاملات الإنسانية . ومن المؤكد أن عندهم رصيدا معرفيا وثقافيا حصلوا عليه من غربتهم وأسفارهم ، ويروونه لأهاليهم وأبناء جلدتهم عندما يعودون إليهم ويذكرون لهم شيئا مما شاهدوه أو مارسوه أو سمعوه أثناء أسفارهم وإقامتهم في تلك البلاد التي عاشوا وعملوا فيها ردحا من الزمن<sup>(١)</sup> .

## ثانياً : ذكريات ومشاهدات في مدينة أبها وغيرها بالملكة العربية

### السعودية (١٣٩٦-١٤٠١هـ/١٩٧٦-١٩٨١م) .

لم أكن أفكر في دراسة الجامعة بأبها ، بعد الانتهاء من الثانوية العامة (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، لأنه لم يكن في عسير ، ولا جنوب المملكة العربية السعودية أي تعليم عالي ، وطلاب الثانوية من قبلنا في عموم السروات وتهامه يذهبون إلى المناطق الغربية والشرقية والوسطى للدراسة في الجامعات أو الكليات أو المعاهد العسكرية القائمة هناك<sup>(٢)</sup> . لهذا سافرت إلى الرياض ، وكانت نتيجتي في الشهادة الثانوية عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) عالية ومتقدمة ، فحصلت على بعثة إلى أمريكا تخصص إدارة الأعمال في وزارة البرق والبريد والهاتف ، وأجريت معي المقابلة وحصلت على الموافقة في شهر رجب عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) على أن أذهب للدراسة بعد عيد الأضحى من ذلك العام ، وسلمت لي أوراق البعثة وجواز السفر الذي أحتاج عند السفر<sup>(٣)</sup> ، ثم

الشرقية . وأقول أسفار وهجرات السرييين والتهاميين من بلادهم إلى بلدان عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسطى والحديثة والمعاصرة (١-١٠٥هـ/٧ق.٧-٢١م) من الموضوعات المهمة التي يجب خدمتها علميا وبحثيا في عشرات الكتب والبحوث .

(١) رأيت الكثير من أولئك المسافرين والموظفين الذين يعودون إلى بلادهم من وقت لآخر ، فترى ملابسهم وإمكاناتهم المادية أحسن من أهاليهم الذين مكثوا في أوطانهم . بل كان البعض منهم يجلبون معهم هدايا مادية يوزعونها على أقاربهم وأفراد قراهم ، ومن ثم فهم يحظون بالتقدير والاحترام ، ويجتهد أهل البلاد في الترحيب بهم وإكرامهم والاحتفاء بهم . وهذا مما شجع الكثير من أهل البلاد على ترك بلادهم والسفر إلى المدن الكبرى كي يتوظفوا ويكون لهم مال وجاء عند أنفسهم وغيرهم .

(٢) إن دراسة الأوضاع التعليمية والثقافية في جنوب المملكة العربية السعودية من بداية القرن (١٢هـ/١٩م) حتى عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) موضوع جديد في بابه يستحق أن يدرس ويوثق في عدد من الكتب والرسائل العلمية . أمل أن نرى طالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعات السروات وتهامه يعكفون على دراسة هذا الميدان وتوثيق صفحات من تاريخه .

(٣) بدأ موضوع الابتعاث في المملكة العربية السعودية من ستينيات ثم سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فكان بعض الطلاب يبعثون إلى بعض المؤسسات التعليمية الداخلية ، ثم فتح الابتعاث إلى بعض الجامعات والمعاهد المصرية . والوثائق والمصادر تشير إلى أعداد قليلة ثم ابتعاثها إلى مصر في السبعينيات وبداية الثمانينيات ، ثم بدأت البعثات بأعداد كثيرة في الثمانينيات والتسعينيات إلى بلدان عربية وأجنبية ، وكانت

عدت إلى موطن الآباء والأجداد في سروات بني شهر وبني عمرو ، وفي الفترة الممتدة من شهر رجب إلى شهر ذي الحجة عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) كان في أسرتي وأقاربي مؤيدون ومعارضون لسفري ، وذلك لصغر سني فلم أتجاوز سبع عشرة سنة وبضعة شهور، وكنت الابن الوحيد لوالدتي فكانت هي وجدتي لأمي ( رحمهما الله تعالى ) غير راغبين في سفري<sup>(١)</sup> ، لهذا قررت عدم السفر ، وذهبت بعد عيد الأضحى إلى الرياض لسحب ملفي ، وهذا ما حصل ، ثم ذهبت أبحث عن مكان للدراسة في بعض الكليات والمعاهد في الرياض ، لكنني سمعت أن هناك كليات جامعية تم فتحها في أبها ، ومن ضمنها كلية الشريعة واللغة العربية ، عندئذ قررت العودة ، والتسجيل في كلية الشريعة ، وكان أخي محمد بن علي بن جريس ( رحمه الله ) يشجعني منذ زمن أن أدخل كلية الشريعة ، ويتمنى أن أصبح قاضياً . سجلت في كلية الشريعة وبدأت الدراسة ، وفي الشهرين الأولين وجدت أن هذه الكلية غير مناسبة ، ثم إنه لم يكن عندي رغبة حقيقية لدخولها والدراسة فيها ، لهذا بدأت أتغيب عن الدراسة ، ووجدت بعض الزملاء الذين عندهم سيارات ، ولا يرغبون الدراسة مثلي، فذهبتنا نتجول في أمكنة عديدة من مناطق عسير، وجازان، ومدن الطائف، ومكة المكرمة ، وجدة . وبعد فترة تزيد عن الشهر ونحن على هذا الحال عدت إلى عميد كلية الشريعة واللغة العربية الشيخ عبد الله المصلح وطلبت منه إعطائي ملفي، حتى ألتحق بكلية التربية التي فتحت في أبها عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٦م) ، لكن الشيخ رفض تسليمي الملف رغبة في بقائي ومواصلي الدراسة ، لكنني اتخذت قراري والانسحاب ، واستمررت أطلبه عدة أسابيع<sup>(٢)</sup> ، وأثناء مطالبتني بالانسحاب من الكلية وجدت وظيفة في مكتب الخطوط السعودية بأبها براتب قدره

بريطانيا وأمريكا من الدول التي حظيت بأعداد كثيرة من المبتعثين السعوديين ، ومع مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) زادت أعداد المبتعثين إلى الدول الغربية . وأقول إن تاريخ ابتعاث السريين والتهاميين إلى بلدان عربية وإسلامية وأجنبية من ستينيات القرن الهجري الماضي إلى مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع جديد ومهم فيدرس ويوتق في عدد من البحوث العلمية .

(١) عشت بداية طفولتي مع جدتي سعدى بنت محسن العمري ، ووالدتي رحمة بنت محمد بن سعيد بن زارع العمري في قرية آل مقبول السروات بني عمرو . وكنت على اتصال مستمر بهما حتى بعد انتقالي إلى منزل والدي في قرية آل رزيق الجبيرية الشهرية . وكانتا رحمهما الله ( حريصتين على عدم مفارقتهما أو الغياب عنهما كثيرا ، لهذا قررت عدم السفر في بعثتي الأولى عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) .

(٢) في هذه الفترة (١٣٩٦-١٣٩٧هـ/١٩٧٦-١٩٧٧م) التي تركت فيها الدراسة ، بقيت أهييم على وجهي لا أدري أين تسير بي الظروف والأقدار ، وكان والدي (رحمه الله) مريضا في مستشفى أبها ، ولم أكن أعلم ، وقبل وفاته حضر إخواني ( محمد ، وعبداله ، ومنصور ) يوم وفاته ، وعرفت بالصدفة خبر الوفاة . ونقله إلى مدينة خميس مشيط لغسله ودفنه ، وذهبت إلى هناك قبل أن يدفن ، ثم أقمنا العزاء عند أخي عبد الله في حي الرونة بالخميس ، وبعد الانتهاء اصطحبتني أخي محمد معه إلى المطار العسكري حتى يسافر الرياض وعاتبني على ترك الدراسة والإهمال ، ونصحني بالاهتمام والمواظبة على دراستي ثم أعطاني حوالي ثلاثة آلاف ريال وجدوها مع الوالد ، وقال خذها واستعن بها على قضاء حوائجك ، بعدها عدت إلى أبها وانتظمت في الدراسة وشريت سيارة أجرة ( تاكسي ) موديل (180B) أعمل فيها وقت فراغي ، واستطعت بفضل الله عز وجل إكمال دراستي بتفوق حتى كنت الأول على دفعتي عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .

(٢٧٠٠) ريال ، لكنهم طلبوا مني حفيظة نفوس ، ولم تكن عندي ، وقد اجتهدت كثيراً في الحصول عليها تم الالتحاق بالوظيفة ، لكن إدارة الأحوال المدنية في النماص رفضت منحي هذه الوثيقة بسبب عدم اكتمال سني الثامنة عشرة . خرجت من كلية الشريعة واللغة العربية ، فرع جامعة الإمام محمد بن سعود في أبها ، والتحقّت بكلية التربية ، فرع جامعة الملك سعود في أبها ، وبدأت دراستي في الفصل الثاني في مجال التاريخ والحضارة الإسلامية ، ولم أترك الدراسة حتى تخرجت فيها عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، وتعينت أول معيد في قسم التاريخ بكلية التربية للبنين في أبها<sup>(١)</sup> ، وبعد عام واحد (١٤٠١هـ/١٩٨١م) سافرت إلى أمريكا لدراسة الماجستير في جامعة تكساس في أوستن (University of Texas at Austin)<sup>(٢)</sup> .

مكثت أربع سنوات (١٣٩٦-١٤٠٠هـ/١٩٧٦-١٩٨٠م) في مدينة أبها ، كانت بلدة متواضعة نوعاً ما في طرقها ، وعماراتها ، وأسواقها ، وأحيائها<sup>(٣)</sup> . فأغلب أبنيتها تتراوح من طابق واحد إلى ثلاثة وقليلاً جداً ترى عمارات تزيد إلى الأربعة وخمسة والسبعة طوابق . كانت الكثير من حاراتها مكتظة بالأبنية القديمة ، وبدأت تزدحم عمارات مسلحة حديثة . وشوارعها الداخلية محدودة في عددها ، وأطوالها ، ومساحاتها . ويخرج منها طرق رئيسية إلى خميس مشيط ونجران أو بيشة وطريق آخر إلى تنومة والنماص والطائف ، وطريق ثالث إلى الدرب وجازان . وهذه الطرق الثلاث حلقات الاتصال الرئيسية بين أبها عاصمة منطقة عسير ، وغيرها من المناطق السعودية المجاورة . ولم تكن جميعها سهلة العبور ، وإنما بعض أجزاءها صعبة المسالك ، لصعوبة تضاريسها<sup>(٤)</sup> . وهناك عقبات ودروب للسيارات أنشئت في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ولم تكن موجودة في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وإنما كانت مسالك صغيرة يسير من خلالها المشاة والدواب<sup>(٥)</sup> .

(١) للمزيد عن مسيرتي العلمية والعملية منذ كنت طفلاً حتى وصلت سن الشيخوخة عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) . انظر محمد بن أحمد مَعْبَرٌ ، مؤرخ تهامة والسراة ( غيثان بن علي بن جريس ) ( دراسة توثيقية ) ، ط٢ (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) ( ٥٨٤صفحة ) ، عوض بن عبدالله ناخي . المؤرخ غيثان بن جريس في الصحف والمجلات والندوات (١٤٠٧-١٤٤٠هـ/١٩٨٧-٢٠١٨م) ط١ (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) ( ٥٨٤صفحة ) ، انظر أيضاً المحور الثاني في هذا القسم .

(٢) سوف أدون نبذة مختصرة عن حياتي وما شاهدته في هذه الجامعة في صفحات تالية من هذا البحث .  
 (٣) لمزيد من التفاصيل عن تاريخ وحضارة مدينة أبها ، انظر غيثان بن جريس . أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) ( الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) (٥٨٤صفحة) .  
 (٤) عندما كنت طالباً في الكلية ذهبت بسيارتي التاكسي (180B) عبر تلك الطرق مثل أبها خميس مشيط نجران، وأبها النماص الطائف ، وأبها الدرب جازان . وكان الإسفلت يغطي معظم تلك الطرق ، لكن مازال فيها آنذاك أجزاء متقطعة وغير مسفلتة . وهذه الطرق الثلاث لها تاريخ خلال العصر الحديث ، فكانت في السابق دروب بدائية تسلكها الدواب ، وأحياناً السيارات منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) . وكل طريق تستحق أن تكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية خلال القرنين (١٢-١٩هـ/٢٠م) ، أمل أن نرى مؤرخين وباحثين جادين يدرسون تاريخها وما جرى لها من تحولات وتطورات .  
 (٥) من تلك الدروب عقبة شعار التي تسير نحو محایل ، وكان العمل فيها مستمراً حتى عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ،

كانت طبيعة أبها وسروات عسير مليئة بالأشجار والحشائش ، وفي أودية أبها وخميس مشيط ، والبلاد الممتدة إلى سراة عبيدة وظهران الجنوب ، وإلى بيشة وتومة والنماص الكثير من مزارع البر والشعير والذرة . ويكسو الأراضي ( الجبال ، والهضاب ، والأودية ) غطاء نباتي كثيف ، ولم تمتد إليه بعد أيدي البشر بالتجريف وشق الطرق ، وبناء المستوطنات السكنية ، وغيرها من المشاريع والأنشطة العمرانية <sup>(١)</sup> .

إن تركيبة السكان في أبها وما جاورها من البلدات والقرى عشائرية وقبلية ، فأهلها الرئيسيون قبائل عربية ماجدة ، لكن مع تطور مدينتي أبها وخميس مشيط إداريا ، واقتصاديا ، وعمرانيا ، وتعليميا ، وصحيا ، وحضاريا جعل الكثير من سكان جنوب المملكة العربية السعودية يأتون إليها في زيارات مؤقتة ، ومنهم من استقر فيها . كما جاء إليها عناصر بشرية من أنحاء المملكة للعمل أو السياحة والتتزه ، وآخرون قدموا إليها من خارج البلاد السعودية للعمل وكسب الأرزاق . وأثناء إقامتي في أبها وزيارتي المستمرة لمدينة خميس مشيط (١٣٩٦-١٤٠١هـ/١٩٧٦-١٩٨١م) شاهدت العساكر والموظفين وطلاب التعليم العام والجامعي الذين جاءوا من أنحاء المملكة إلى هذه الناحية . ورأيت أجناسا أخرى عربية من الشام ، واليمن ، والسودان ، ومصر ، وشمال إفريقيا . وبعض العناصر الأجنبية من أوروبا ، وكوريا ، والصين ، والفلبين وغيرها من دول العالم . وجميعهم يعيشون ويعملون في قطاعات حكومية وأهلية عديدة <sup>(٢)</sup> .

وتم إفتتاحها فيما بعد ، وطرق فرعية عديدة من أبها إلى الطائف ، ومنها الذي يتجه شرقاً ، وأخرى غرباً ، وكانت معظمها غير مسلوكة بالسيارات . وخلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) اهتمت الدولة بهذه التفرعات فأنشأت عشرات الطرق المسفلتة التي تربط بلاد السروات مع أجزاء البلاد الغربية والشرقية . ونشاهد اليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) شبكة طرق ممتازة تربط بين مدن وحواضر وقرى وهجر وبوادي مدن ومناطق المملكة العربية السعودية .

(١) شاهدت طبيعة بلاد السروات من أبها إلى الطائف منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وكانت بلدانا جميلة لما حباها الله من النباتات المتنوعة ، والثروات الحيوانية البرية الكبيرة . ومع بدايات النهضة العمرانية الحديثة . منذ مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأ الإنسان يسعى إلى قطع الأشجار وتجريف الأراضي المخضرة من أجل التشييد والبناء العمراني ، وهذا مما أثر على الطبيعة ، ورفع نسبة التصحر والجفاف ، وانقراض وهجرة الكثير من الطيور والحيوانات البرية المختلفة .

(٢) عندما كنت طالبا في الجامعة تأملت العاملين في كلياتها ، وذهبت إلى مطار أبها الذي كان يشيد آنذاك ، وإلى المدينة العسكرية في خميس مشيط ، وبعض المستشفيات ومؤسسات حكومية وخاصة أخرى فرأيت جل العاملين فيها من أجناس عربية وأجنبية . والعناصر السعودية العاملة في تلك القطاعات قليلة جدا ، وتتفاوت من مكان لآخر . فالإدارات العسكرية معظمها من السعوديين ، لكن المشرفين والمدرسين والفنيين غير سعوديين . أما الأعمال الإنشائية والعمرانية والفنية مثل بناء المستشفيات ، والمطارات ، والمقرات الحكومية . والمسكن الخاصة فالعاملون الفاعلون من الأجناس الوافدة من خارج المملكة العربية السعودية . وكذلك المؤسسات التعليمية وبخاصة الجامعية فالقائمون عليها من عناصر غير سعودية . ودراسة التركيبة البشرية في منطقة عسير ، أو مناطق جنوب المملكة العربية السعودية في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع جديد يستحق أن يكون عنوانا لرسالة علمية أو كتاب توثيقي .

إن أطعمة الناس وأشربتهم وزينتهم ولباسهم في قرى سروات عسير لم يكن مختلفاً كثيراً عن قرى وبلدات محافظة النماص . فجل الأشرطة والأطعمة من محاصيلهم وثرواتهم الحيوانية ، وكذلك ألبستهم من صنع أيديهم ، لكنهم يجلبون الأقمشة وبعض الألبسة وأدوات الزينة من الأسواق التجارية الأسبوعية واليومية في البلاد<sup>(١)</sup> .

أما الألبسة والزينة والطعام والشراب داخل مدينتي أبها وخميس مشيط فلم يكن محدوداً كما في الأرياف والبوادي حيث كان هناك العديد من المطاعم والأماكن التجارية التي تباع أنواعاً مختلفة من الأشرطة والأطعمة<sup>(٢)</sup> . وهناك دكاكين وخياطين وأسواق صغيرة وكبيرة تمارس البيع والشراء للكثير من أنواع اللباس والزينة<sup>(٣)</sup> . كانت مدينة خميس مشيط أنشط في تجاراتها لأنواع البضائع من أسواق أبها . وكوني طالباً في الكلية فكانت الجامعة تتولى تقديم الطعام والشراب للطلاب بأسعار رمزية تقدر بخمسة ريالاً للوجبات الثلاث ( الإفطار ، والغداء ، والعشاء ) . والوضع نفسه في القطاعات العسكرية التي تقدم الشراب والطعام لمنسوبيها<sup>(٤)</sup> .

إن عادات وتقاليد الناس في الأعياد ، والزواج ، والمآتم ، والفنون والرقصات الشعبية ، والألعاب الرياضية ، والتكاتف والتعاون ، وإغاثة الملهوف ، ومساعدة الفقير والمحتاج سائدة في المجتمعات السروية والتهامية ، وهي في الأرياف والقرى أوسع وأعمق . ولا تخلو مدينتا أبها وخميس مشيط من جميع هذه التقاليد والعادات حتى وإن بدأت المدنية منذ تسعينيات القرن ( ١٤٠١هـ / ٢٠م ) تغزو حياة الناس وتؤثر عليهم سلبياً في ترابطهم وتعاونهم . وقد عاصرت وشاهدت العديد من الأمثلة في حاضرة أبها من ( ١٣٩٦ - ١٤٠١هـ / ١٩٧٦ - ١٩٨١م ) حيث كان الناس في تقاربهم وتعايشهم مثل الناس الذين رأيتهم وعشت بين ظهرانيهم في سروات بني شهر وبني عمرو خلال الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن ( ١٤٠١هـ / ٢٠م )<sup>(٥)</sup> .

(١) هكذا كانت حياة معظم السرويين والتهاميين وبخاصة الذين يسكنون في القرى والبوادي والأرياف . أما سكان المدن الكبيرة فقد يكون وضعهم مختلفاً نوعاً ما لتوفر الكثير من الكماليات في المدينة وتداخل الناس واختلاطهم ببعضهم في شتى الأعمال والحرف الاقتصادية . وإجراء دراسة على تاريخ الطعام واللباس في قرى وأرياف منطقة عسير وفي مدنها خلال القرن ( ١٤٠١هـ / ٢٠م ) من الموضوعات المهمة الجديرة بالدراسة والتحليل والتوثيق . أمل أن نرى طالب دراسات عليا في أقسام التاريخ في جامعات جازان أو الملك خالد ، أو بيشة ، أو الباحة فيدرس هذا العنوان دراسة علمية عميقة .

(٢) عرفت وزرت وأكلت في العديد من المطاعم التجارية في مدينتي أبها وخميس مشيط ( ١٣٩٦ - ١٤٠١هـ / ١٩٧٦ - ١٩٨١م ) .

(٣) رأيت وزرت الكثير من الأسواق الصغيرة والكبيرة في خميس مشيط وأبها ، وهي تعرض الكثير من أدوات الزينة والألبسة الداخلية والخارجية بجميع أنواعها .

(٤) هذا ما عاصرتة وعرفته في فرعي جامعتي الإمام والملك سعود في أبها ، والقاعدة الجوية والمدينة العسكرية في خميس مشيط من عام ( ١٣٩٦ - ١٤٠١هـ / ١٩٧٦ - ١٩٨٠م ) .

(٥) ما من شك أن هناك فوارق واختلافات بين الأعراف والتقاليد والعادات من مكان لآخر ، لكن إذا

أقيمت في السكن الجامعي في مدينة أبها ، وعشت مع الكثير من الطلاب الذين جاءوا من بيئات متعددة من نجران وجازان إلى أبها وخميس مشيط وبيشة والنماص ومحایل والقنفذة والباحة حتى الطائف ومكة المكرمة ، وجميعهم من بلاد تهامة والسراة . ولم أر تقاليد أو عادات غريبة بين أولئك الطلاب ، لكنهم يختلفون في بعض رقصاتهم وأهازيجهم وأحيانا طرق تعاملهم مع بعضهم البعض ، وأيضا في لهجاتهم ومفرداتهم واصطلاحاتهم اللغوية . وقد رأيت لكل ناحية من أراضي جنوب المملكة العربية السعودية أنماطا حياتية ومعيشية متباينة من مكان لآخر ، لكن الجميع يفهمون ويدركون ويتكيفون مع بعضهم في الكثير من التقاليد والأعراف الحضارية<sup>(١)</sup> .

### (\*) كانت أبها وخميس مشيط قبلة الكثير من سكان الجنوب السعودي وبخاصة مناطق

عسير، وجازان، ونجران، وذلك لأسباب كثيرة ، أذكر أهمها في النقاط الآتية :

- ١- إنها العاصمة الإدارية والسياسية لمعظم بلاد السراة وتهامة منذ بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى العقود الوسيطة من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، بصرف النظر عن الأحداث والملابسات التي عاشتها هذه البلاد تاريخيا وحضاريا خلال تلك الحقب التاريخية السابقة<sup>(٢)</sup> .
- ٢- كانت مدينة أبها العاصمة التي بدأ ثم توسع من خلالها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل (يرحمه الله) أثناء توطيد سلطانه في جنوب المملكة العربية السعودية . والوثائق والصادر والمراجع تفصل الحديث في هذا الجانب ، كيف كانت الإعدادات والتجهيزات تنطلق من حاضرة أبها إلى أجزاء عديدة في البلاد التهامية والسروية<sup>(٣)</sup> .
- ٣- بعد قيام وتوحيد المملكة العربية السعودية صارت أبها مقراً لمعظم المؤسسات الإدارية الرسمية والأهلية الحديثة، وكانت الكثير من تلك المؤسسات تشرف

اجتمع الناس في أطر عامة متقاربة ومتشابهة مثل الطبيعة الجغرافية ، والتركيبية السكانية والاجتماعية فالاختلافات تكون بسيطة وغالبا في جزئيات وليس الأساسيات .

(١) رأيت وعاصرت هذا التباين منذ كنت طالبا مع زملائي في سكن كلية التربية بأبها (١٣٩٦-١٤٠١هـ/١٩٧٦-١٩٨١م) ، كما رأيت نماذج من ذلك أثناء تجوالي وأسفاري في مناطق عديدة من السراة وتهامة ، ثم تعمقت في معرفة الكثير من حياة وحضارات سكان هذه البلاد بعد أن سرت في بلادهم رحالا وباحثا ومتأملا . وتاريخ الأعراف والعادات في عموم تهامة والسراة منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) موضوع مهم وجديد يستحق أن يدرس في بحوث عديدة .

(٢) هناك عشرات الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة التي رصدت تاريخ القوى السياسية التي ظهرت في عسير خلال القرنين (١٣هـ/١٩-٢٠م) واتخذت من أبها مركز انطلاق ثم امتد نفوذها إلى أجزاء عديدة في السراة وتهامة . ومازال هناك آلاف الوثائق غير المنشورة التي تحوي تفاصيل تاريخية وحضارية كثيرة تصب في خدمة هذا الموضوع المذكور أعلاه .

(٣) حبذا أن يقوم باحث أو طالب دراسات عليا بالعكوف على أهمية مدينة أبها في ترسيخ حكم الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل في سروات عسير وتهائمها ، وفي القنفذة ، ونجران ، وجازان . ومن يتولى هذا الموضوع بالدراسة والتحليل الحيادي والمنصف فإنه سوف يطلعنا على دراسة علمية قيمة .



وتخدم بلدان كثيرة في تهامة والسراة ، وهذا مما جعلها مهوى الكثير من التهاميين والسروريين الذين يترددون عليها لقضاء مصالحهم وحوائجهم المختلفة<sup>(١)</sup> .

٤- تامت الحياة الحضارية في حاضرة أبها بما فيها مدينة خميس مشيط وبخاصة في المجالين التجاري والصناعي فأصبحت من كبريات الحواضر السعودية الحديثة، وإليها ومنها تدور عجلة الإقتصاد في نواحي عديدة من جنوب المملكة العربية السعودية ، بل صارت مقراً للكثير من الأسواق والشركات والحرف والصناعات الكبيرة والصغيرة<sup>(٢)</sup> .

٥- جغرافية طبيعة سروات حاضرة أبها وما جاورها أكسبتها ميزة حضارية حديثة ، ألا وهي مجال السياحة والترفيه . وقد أدرك أمير منطقة عسير ، خالد الفيصل، ذلك منذ تسعينيات القرن (١٤/٢٠م) ، فعمل واجتهد في تطوير هذا الجانب ، وقد حقق الكثير من النجاحات في هذا الباب، ومنطقة عسير اليوم (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)؛ وعاصمتها مدينة أبها تأتي في مراكز متقدمة في المملكة العربية السعودية سياحياً وترفيهياً<sup>(٣)</sup> .

٦- قيام مدينة الملك فيصل العسكرية في حاضرة أبها وإنشاء مستشفيات صحية كبيرة في أبها وخميس مشيط ، وإنشاء شركة كهرباء كبيرة في هذه الأوطان جعلها مقصداً للكثير من سكان جنوب المملكة العربية السعودية (رجالاً ونساءً) والباحث في تأسيس هذه المشاريع الثلاثة منذ تسعينيات القرن (١٤/٢٠م) ، وما لها من آثار إيجابية على تنمية منطقة عسير بشكل خاص وجنوب المملكة العربية السعودية بشكل عام فإنه يدرك ثقل وأهمية هذه البلاد على مستوى السراة وتهامة وعلى مستوى المملكة العربية السعودية<sup>(٤)</sup> .

(١) إن دراسة تاريخ المؤسسات الإدارية في أبها منذ أربعينيات القرن (١٤/٢٠م) إلى مطلع هذا القرن (١٥/٢٠م) موضوع مهم فلم يدرس ويوثق في عمل علمي رصين . أمل من جامعة الملك خالد ممثلة في كلياتها وأقسامها وأساتذتها وطلابها أن يستشعروا أهمية هذا الموضوع ثم يدعم ويشجع من يدرسه ويوثقه في عدد من البحوث العلمية .

(٢) بدأ هذا النمو من تسعينيات القرن (١٤/٢٠م) ثم تطورت وازدهرت خلال العقود الأربعة الماضية من هذا القرن (١٥/٢٠م). وتاريخ الحياة الاقتصادية (التجارية، والحرفية والصناعية) في حاضرة أبها موضوع جدير بالدراسة والتوثيق ، أمل أن يتولى ذلك باحث جاد فيدرسه دراسة علمية موثقة .

(٣) عاصرت بدايات تطوير السياحة في السروات من الطائف حتى أبها منذ بداية التسعينيات حتى اليوم . وما زال مجال السياحة في هذه البلاد يحتاج جهوداً أكبر مادية ومعنوية حتى تصبح هذه الأوطان من المعالم السياحية العالمية ، وهي تستحق ذلك لما تحتويه من تاريخ وتراث وثقافة وموروث حضاري معنوي ومادي .

(٤) إن تاريخ المدينة العسكرية في خميس مشيط ، وتاريخ الطب والتطبيب، وشركة الكهرباء في منطقة عسير خلال الخمسين سنة الماضية (١٣٩٠-١٤٤٢هـ/١٩٧٠-٢٠٢١م) يعد من الموضوعات الجديدة التي تستحق الرعاية البحثية من كليات وأقسام الجامعات المحلية .

٧- إن إنشاء مؤسسات تعليم عالي في أبها في منتصف التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) جعل مدينة أبها تواصل ريادتها في خدمة وتطوير بلدان السراة وتهامة. وقد عاصرت بدايات تلك الكليات والإدارات الجامعية عام (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، بل كنت من أول ثمارها الإيجابية. ومن يتأمل في مسيرة وتطور التعليم العالي في مناطق عسير، ونجران، وجازان اليوم فإنه يدرك بركات تلك الكليات الأولى التي أسست للتعليم الجامعي في أبها منذ نهاية القرن الهجري الماضي<sup>(١)</sup>.

كان التاريخ الاقتصادي في حاضرة أبها وما جاورها نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) يسير نحو التطور والازدهار. فالزراعة مازالت تمارس على نطاق أقل مما كانت عليه في العقود السابقة<sup>(٢)</sup>، لكن التجارة والحرف الصناعية تتحسن وتزيد نسبتها رأسياً وأفقياً. ففي مدينتي أبها وخميس مشيط وما حولهما الكثير من الدكاكين والمحلات الحرفية التي تمارس صناعات ومهن عديدة مثل: ورش خدمات السيارات والآلات الأخرى، وهناك الكثير من الحرفيين كالسباكين، والكهربائيين، والحدادين، والنجارين، والصائغين، أو من يتعامل مع بعض المعادن كالذهب والفضة والنحاس وغيرها، وداخل المدينتين (أبها والخميس) خياطون لخيطة ملابس الرجال والنساء، ومحلات لغسل الملابس والمفروشات الخفيفة. وعندما بدأت الحركة العمرانية الحديثة في عسير رأيت بعض البنائين، والدهانين، والمليسين والعمال الحفارين والحمالين للكثير من أدوات البناء، وعمال آخرين يشتغلون في مهن زراعية وتجارية وغيرها<sup>(٣)</sup>.

كانت الحياة التجارية في سروات عسير، وبخاصة في مدينتي أبها وخميس مشيط تتطور تدريجياً. ففي وسط الحاضرتين أسواق تجارية حديثة عديدة، يعرض فيها الكثير من السلع المتنوعة مثل المواد الغذائية، والأقمشة والألبسة وأدوات الزينة، والأواني

(١) إن دراسة وتوثيق بدايات ثم تطور التعليم العالي في أبها من عام (١٣٩٦-١٤٤٣هـ/١٩٧٦-٢٠٢١م)، ثم الآثار الإيجابية لهذا المجال على أراضي وسكان السروات وتهامة من الموضوعات البكر التي لم تدرس، وجديرة بالبحث والتحليل والتوثيق في مؤلفات وبحوث عديدة.

(٢) كانت الحياة الزراعية نشطة في الكثير من بلدان السروات وتهامة خلال القرون الماضية حتى العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). ثم صارت تتراجع، وأصبح الناس يستبدلون الزراعة بأعمال أخرى عديدة كالتعليم، والحصول على وظائف حكومية وأهلية، وهناك من عمل في الأعمال التجارية، لكنهم كانوا قلة مقارنة بما نراه في وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). وتاريخ الزراعة في عسير، أو جازان، أو نجران، أو الباحة أو الطائف خلال العصر الحديث (١٠ق-١٤هـ/١٦ق-٢٠م) من العناوين الجديدة والمهمة الجدير بالدراسة والتوثيق في بحوث وكتب عديدة.

(٣) تاريخ الأيدي العاملة والحرف والصناعات القديمة والحديثة في بلاد السراة وتهامة منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع لم يدرس في أي عمل علمي موثق. أمل من أقسام التاريخ في الجامعات المحلية في جنوب البلاد السعودية أن تهتم بهذا الموضوع وتساعد طالبات وطلاب الدراسات العليا على دراسة وتوثيق مثل هذا الميدان الحضاري المهم. ومن يقوم بذلك فإنه سوف يجد الكثير من المصادر والوثائق التي تصب في خدمة هذا العنوان الواسع والكبير.

المنزلية، والمعدات الزراعية، والحرفية. والعاملون في تلك الأسواق من السعوديين، وهم قلة ويساعدهم الكثير من الوافدين وبخاصة اليمينيين، ولا تخلو تلك الأسواق من أيدٍ عاملة محدودة من بلدان عربية وإسلامية أخرى<sup>(١)</sup>.

إن أبنية المحلات التجارية في أبها وخميس مشيط شعبية مشيدة بالطين والحجارة، أو الحجارة والأسمت، ثم استبدلت الحجارة بالحديد، والبلك والإسمنت. ومساحاتها محدودة فلا يزيد أكبر دكان تجاري عن (١٠×١٠م)، وأحياناً تكون غرفاً متجاورة أو متداخلة بعضها في بعض، ومساحة الحجر الواحدة لا تزيد عن (٢٥م<sup>٢</sup>)، وأحياناً (٣٠م<sup>٢</sup>). وحتى نهاية التسعينيات من القرن (١٤/٢٠م) نادراً جداً أن ترى سوقاً أو دكاناً تجارياً تصل مساحته إلى (١٥٠م<sup>٢</sup>) أو (٢٠٠م<sup>٢</sup>).

وأغلب السلع المستوردة من مدن الحجاز الرئيسية، وبعضها يأتي من الرياض والمنطقة الشرقية، وهناك بضائع تصدر من اليمن، أو من بعض دول عربية وإسلامية وغير إسلامية. والسلع المحلية في أسواق الخميس وأبها الحبوب، وبعض السلع الصناعية المحلية مثل الأدوات الخشبية، والجلدية، والفخارية، والحديدية وغيرها.

والأسواق الأسبوعية في سروات عسير من الأمكنة التجارية المهمة والمحبة عند أهل البلاد. وقد عاصرت خلال التسعينيات من القرن الهجري الماضي سوقي أبها والخميس الشعبيين. فالأول وسط مدينة أبها جنوب مبنى إمارة عسير حالياً (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، ويعقد كل يوم ثلاثاء. والثاني وسط مدينة خميس مشيط إلى الشمال من الجامع الكبير. ويعقد كل خميس. والسوقان قديمان جداً ويعود تاريخهما إلى الوراثة مئات السنين<sup>(٢)</sup>.

تسوقت في هذين السوقين مرات عديدة في الفترة من (١٣٩٦-١٤٠١هـ/١٩٧٦-١٩٨١م)، وشاهدت معروضاتهما التجارية، ووقفت على بعض تعاملات الناس فيهما أثناء ممارسة عملية البيع والشراء. ورأيت كل سلعة مستقلة في موقعها، وأحياناً تتداخل أمكنة بعض السلع لتعدد التجارات وكثرة المتسوقين. ويأتي إلى

(١) كنت أسكن في سكن الطلاب الجامعي بحي الخشع بأبها، وأذهب إلى أسواق أبها وخميس مشيط، وأشاهد الكثير من الأسواق والدكاكين الصغيرة والكبيرة، وفيها بعض السلع المحلية وأكثرها مستوردة من مدن وبلدان عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. كما أن الأيدي العاملة غير السعودية كثيرة، ويشاركهم أفراد قليلون من السعوديين، ومعظمهم أصحاب تلك المحلات التجارية. وفي نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) لم بعد تنتشر الأماكن التجارية على الطرق الرئيسية التي تربط أبها مع مدينة خميس مشيط، أو الطرق التي تخرج من هاتين المدينتين إلى مناطق وبلدان مجاورة، والسبب تواضع مستوى تلك الطرق، وعدم توفر الخدمات اللازمة عليها، لكن بعض الدكاكين التجارية المحدودة في مساحاتها وبضائعها كانت موجودة في أطراف خميس مشيط وأبها، وبعض القرى الكبيرة القريبة منهما.

(٢) تاريخ هذين السوقين خلال العصر الحديث والمعاصر (١٠ق-١٥ق/١٦ق-٢١م) موضوع مهم يستحق أن يدرس في كتابين أو بحثين مطولين. أمل أن نرى بعض طلابنا في برامج الدراسات العليا بجامعة تانزا المحلية فيدرسون هذين السوقين دراسة علمية موثقة.

هذين السوقين بعض المطاوعة والدعاة الذين يحدثون الناس في أمور دينهم ، ويتخذون من بعض الأماكن المرتفعة في السوق ، أو من فوق بعض السيارات مكانا لإلقاء المواعظ. وهناك بعض رجال الدولة والمحاسبين الذين يراقبون حركة التجارة ، ويعاقبون من يسعى إلى التطفيف أو الغش أثناء البيع والشراء<sup>(١)</sup>.

كانت الأسعار والأجور قليلة مقارنة بوقتنا الحاضر، فالصاع من الحبوب المتنوعة يتراوح من ثلاثة إلى خمسة وستة ريالات والمواد الغذائية مثل الأرز والسكر ، والشاي ، والدقيق هي الأخرى متواضعة فلا يصل سعر المد أو الكيلو إلى أكثر من ريالين إلى تسع وعشيرة ريالات . والذبيحة الواحدة من الضأن والماعز لا تزيد عن المئة والمئة وخمسين ريالاً وأحياناً تصل إلى المئتي ريال . والرأس من الجمال والبقر يكون في خانة المئات ونادراً يصل الواحد إلى الألف . والدجاجة الواحدة من الخمسة إلى السبعة ريالات . أما المركبات فتتراوح أسعارها من الخمسة والستة آلاف إلى الثلاثين والأربعين ألفاً لسيارات السفر والركاب مثل الهالوكس ، والكرسيديا ، والصالونات ، والجمسات . والسيارات الكبيرة ، الناقلات وغيرها ، فأسعارها أعلى لكن معظمها في عشرات الآلاف ونادراً تكون أسعارها في مئات الألوف . والملابس وأدوات الزينة ، والأدوات الزراعية والحرفية والتجارية وغيرها فأسعارها بالريالات ، ومنها التي ترتفع أسعارها إلى عشرات أو مئات الريالات حسب نوع السلعة وحجمها وأهميتها . أما المعدات الزراعية والمحركات الكبيرة مثل الحراثات ، والشبولات ، والتركورات فأسعارها في عشرات الآلاف ، ومن النادر وصول بعضها إلى مئات الألوف . والأراضي الزراعية والسكنية تتراوح أسعارها بين عشرات ومئات الألوف حسب موقع كل أرض ومساحتها وأهميتها السكنية أو التجارية. وفي داخل مدينة أبها وخميس مشيط وصلت أسعار بعض الأراضي في بداية القرن (١٥هـ/٢٠م) إلى مئات الألوف ، وبعضها وهي قليلة ، دخلت خانة الملايين<sup>(٢)</sup>.

وأجور المنازل والأسواق تقدر بمئات الريالات وأحياناً تكون في خانة آحاد أو عشرات الآلاف . والموقع والمساحة والأهمية تحكم تراوح هذه الأسعار . واذكر أنني استأجرت غرفة شعبية واحدة في حجلاء لمدة شهر عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) بخمسين

(١) كانت الأسواق الأسبوعية حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية القرن (١٥هـ/٢٠م) أعياداً ومهرجانات كبيرة لكل من يعيش حولها أو يرتادها . بل كانت الحركة التجارية في تلك الأسواق في أوج مجدها ونشاطها ، حتى وإن كان هناك أسواق يومية حديثة ، لكنها مازالت قليلة ومحدودة . ووضع الأسواق الشعبية اليوم تدهور واندثر أغلبها ، والباقي منها تراجع كثيراً عما كانت عليه في السابق . وسوف أبها وخميس مشيط من تلك الأسواق التي مازالت لكنها ضعيفة مقارنة بالماضي .

(٢) في بداية تطوير مدينة أبها ومدينة خميس مشيط وغيرهما اضطرت الدولة إلى هدم بعض الأبنية وشق بعض الطرق وإقامة بعض المشاريع وقد تم تعويض أصحاب تلك الأملاك ، ومنهم من حصل على تعويضات كبيرة تقدر بالملايين . وتخطيط مدينة أبها وتطويرها وكذلك وسط مدينة خميس مشيط في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) موضوع مهم وجديد جداً أن نرى مؤرخاً جاداً يدرس هذا الموضوع دراسة علمية توثيقية .

ريالاً، وهناك غرف مسلحة وأخرى شعبية وسط مدينتي خميس مشيط وأبها لا تزيد أجرتها عن المئة ريال. والدور الصغير والشقة المكونة من عدة غرف تتراوح أسعارها من الألفين إلى الخمسة والسبعة آلاف ريال للعام كاملاً. وأجرة الدكاكين التجارية في المواقع الجيدة وسط المدينة تدخل في خانة آلاف الريالات إذا كان الإيجار سنوياً.

أما أجرة الركاب والمسافرين فالراكب الواحد من أبها إلى خميس مشيط بريال واحد، وقد يكون مشوار السيارة الصغيرة خمسة ريالات. والسيارة الكبيرة كالمصالحون توبوتا أو الجسمس بعشرة ريالات وأحياناً تزيد الأجرة قليلاً. والأجرة للراكب الواحد من أبها إلى جازان، أو بيشة، أو نجران، أو النماص، أو الطائف تتراوح من عشرة ريالات إلى ثلاثين وخمسين ريالاً حسب طول المسافة وقصرها. وقد تخرج بعض السيارات بالمشوار والاتفاقية وغالباً تكون بين المئة والمئتي ريال إلى النماص، وبيشة، ونجران، وجازان، والباحة، وقد ترتفع الأجرة إلى المئتين وخمسين ريالاً. أما المشوار إلى الطائف ومكة أو الرياض فتقدر بمئات الريالات وتتراوح من (٤٠٠-٦٠٠) ريال وأحياناً (٧٠٠) ريال وربما أكثر<sup>(١)</sup>.

وأجرة السيارات الكبيرة (الناقلات) وغيرها تكون أعلى وتقدر في الغالب بمئات الريالات من مدن الحجاز كالطائف ومكة وجدة إلى مدن عسير وجازان ونجران وأحياناً تدخل خانة الألف والألفي ريال. أما المعدات الأخرى كالحراثات والشيولات والجرارات والتركوتورات فأجرتها بالساعة وتتراوح من العشرة إلى عشرين وثلاثين وأربعين ريالاً وربما أكثر قليلاً. وقد يتم الاتفاق مع ملاك الناقلات أو المعدات الأخرى على إنجاز العمل المطلوب أو نقل بضاعة معينة بالجملة (الاتفاقية)، ومقدارها غالباً يكون في خانة العشرات أو مئات الريالات<sup>(٢)</sup>.

أما أجور الأيدي العاملة فتختلف من شخص لآخر حسب نوع العمل، فالعامل العادي تكون أجرته باليومية من عشرة ريالات إلى عشرين ريالاً وربما أكثر. والفنيون كالمسباكين، والكهربائيين، والمهندسين فأجورهم أعلى، لكنها تبقى في خانة العشرات لليوم الواحد، وقد تدخل مئات الريالات أو الألف والألفين وربما أكثر للاتفاقية (القاطوعة) على إنجاز عمل معين يستغرق أياماً وربما أسابيع<sup>(٣)</sup>.

(١) هذا ما عرفته بشكل مباشر لأنني كنت صاحب تاكسي وذهبت في بعض المشاوير إلى جازان والنماص والباحة والطائف. وأحياناً تكون الأجرة عالية لمن هو مستعجل ويحتاج سيارة مشوار بشكل سريع.

(٢) كنت أذهب إلى مواقع السيارات في مدينتي أبها وخميس مشيط (١٣٩٦-١٤٠١هـ/١٩٧٦-١٩٨١م) وأسمع وأشاهد بعض المساومات والاتفاقات على أجرة بعض المركبات أو الآلات الأخرى.

(٣) أجور الأيدي العاملة في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) كانت قليلة وبسيطة وبدأت تزيد وترتفع مع مطلع القرن (١٥هـ/٢٠م). وهذا الموضوع يستحق البحث والدراسة في منطقة عسير أو أي منطقة من مناطق جنوب المملكة العربية السعودية (١٣٩٠-١٤٢٠هـ/١٩٧٠-٢٠٠٠م).

أما الرواتب فحسب مستوى الموظف ودرجته الوظيفية، مدنياً أو عسكرياً، لكنها كانت تتراوح من خانة المئات إلى الآلاف لعامة الموظفين، ورواتب أصحاب المراتب العالية تدخل خانة العشرة آلاف وأكثر. وأثناء دراستي ثم عملي في كلية التربية بأبها (١٣٩٦-١٤٠١هـ/١٩٧٦-١٩٨١م)، عرفت رواتب بعض موظفي وأساتذة الكليات الجامعية آنذاك فكانت تتراوح من ثمانمائة وألف ريال لصغار الموظفين إلى الثمانية وعشرة آلاف ريال وتزيد عن ذلك لكبار الموظفين وبعض أعضاء هيئة التدريس<sup>(١)</sup>.

كانت مكافآت الطلاب الجامعيين عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) (٣٢٥) ريالاً شهرياً للدارسين في الأقسام الأدبية، و (٤٠٠) ريالاً لطلاب الأقسام العلمية، وفي نهاية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) ارتفعت إلى (٥٢٥) ريالاً لطلاب القسم الأدبي، و (٦٠٠) ريالاً لطلاب القسم العلمي. وفي عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) أعطي طالب الأدبي (٨٥٠) ريالاً، وطالب القسم العلمي ألف ريال<sup>(٢)</sup>. كما عاصرت رواتب المعيدین فعند التخرج في كلية التربية عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) وعملي معيد، صار الراتب ثلاثة آلاف ريال، وفي العام نفسه ارتفعت رواتب جميع موظفي الدولة بنسبة (١٠٠٪)، وصارت الثلاثة ستة آلاف، ويعطى المعيد الواحد بدلاً للسكن يقدر ب (١٥٠٠٠) ريال للعام<sup>(٣)</sup>.

لاحظت تقدماً جيداً في الحياة العلمية والثقافية والأدبية في بلاد عسير (سراة وتهامة) وبخاصة حاضرة أبها. فالمدارس العامة (الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية) أصبحت موجودة في كبريات القرى والتجمعات السكانية. وهناك أيضاً معاهداً علمية وللمعلمين في أبها، وخميس مشيط، وبيشة، ومحال وغيرها. وكل هذه المؤسسات التعليمية قامت بعملها وقدمت خدمات جليلة للطلّابات وطلاب البلاد<sup>(٤)</sup>.

في الفترة من (١٣٩٦-١٤٠١هـ/١٩٧٦-١٩٨١م) حظيت حاضرة أبها بحدث حضاري مهم وكبير تمثل في افتتاح ثلاث كليات جامعية. التربية والطب بفرع جامعة

(١) سمعت أن أجرة بعض مقررات الكليات بأبها كانت تقدر بمئات الألوف، وفي نهاية التسعينيات من القرن (٢٠/٥١٤م) وبداية هذا القرن (٢٠هـ/٢٠م) ارتفعت إلى خانة المليون وأكثر للعام الواحد.

(٢) مازالت هذه المكافآت بهذه الكيفية تمنح لطلّابات وطلاب الجامعة حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، وتاريخ وحياة طلاب الجامعة في منطقة عسير (١٣٩٦-١٤٤٢هـ/١٩٧٦-٢٠٢١م) موضوع جديد لم يدرس حبذا أن يدون في أعمال علمية موثقة.

(٣) إن تاريخ الأجرور والرواتب في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية من عام (١٣٥٠-١٤٤٣هـ/١٩٣١-٢٠٢١م) موضوع جيد وجديد وله الكثير من الوثائق والمصادر والمراجع، ويستحق أن يكون عنواناً لمشروع بحثي كبير يقوم به فريق عمل من الأكاديميين حبذا أن نرى هذه الأمنية تتحقق إلى واقع.

(٤) درست ووثقت ثم طبع ونشرت العديد من الدراسات التاريخية لمسيرة التعليم العام في منطقة عسير منذ عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٤م) حتى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). ومازال هذا الميدان يحتاج إلى بحوث أطول وأعمق توضح بداياته ثم نموه وتطوره وأثاره الإيجابية على حياة الناس العامة والخاصة. وهذا الموضوع مهم جداً ويجب على المؤرخين والباحثين دراسته وتوثيقه.

الملك سعود بأبها ، وكلية الشريعة واللغة العربية بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالجنوب . وهذه الكليات أول مؤسسات تعليمية عالية في عموم المنطقة الجنوبية الممتدة من الطائف ومكة المكرمة شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً<sup>(١)</sup> .

كان لهذه الكليات الجامعية أثر كبير على تطور الأرض والإنسان ليس في مدينة أبها وما جاورها ، وإنما في عموم جنوب المملكة العربية السعودية . فقد جلب لها الكثير من الأساتذة والعلماء الكبار من بلدان عربية وغير عربية حتى يتولوا عملية التدريس والتدريب لطلاب السراة وتهامة الذين التحقوا بهذه الكليات العالية ، وفي تخصصات وعلوم مختلفة<sup>(٢)</sup> .

**(\*) مما عاصرتة وشاهدته وسمعتة خلال السنوات الخمس الأولى من**

**تاريخ التعليم العالي في منطقة عسير (١٣٩٦-١٤٠١هـ / ١٩٧٦-١٩٨١م) ،  
فإنني أدون بعضاً من تلك الذكريات والمشاهدات التاريخية الحضارية ، وهي  
على النحو الآتي :**

- ١- تطور الحراك الثقافي والتعليمي والعلمي والأدبي في منطقة عسير وبخاصة حاضرة أبها ، عندما أصبح هناك كليات جامعية تحتوي على أقسام كثيرة ، علمية وأدبية ، ويتولى التدريس والتدريب فيها أساتذة عديدون يحملون درجات الماجستير والدكتوراه التي حصلوا عليها من جامعات عربية وإسلامية وأجنبية عريقة ومرموقة<sup>(٣)</sup> .
- ٢- لا أنسى أساتذتنا السعوديين ، وكانوا قليلاً جداً ، وفي أعمال إشرافية وإدارية

(١) تم افتتاح كلية متوسطة للبنين في أبها ، وتمنح درجة الدبلوم العالي ، عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) . كما انفصلت كلية الشريعة وأصول الدين عن اللغة العربية عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) وصار هناك كلية جديدة ، كما أنشئت كلية الطب في العام نفسه ، وتأسست أيضاً كلية التربية للبنات بأبها عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) . للمزيد انظر غيثان بن جريس " التعليم العالي في منطقة عسير بداياته تطوره أفاقه المستقبلية " بحث منشور ضمن ندوة التعليم العالي في عسير ، ربع قرن من الإنجازات والعطاء (٢-٣/شعبان/١٤٢١هـ الموافق ٣٠-٢٩/أكتوبر / ٢٠٠٠م ) ( مطبوعات جامعة الملك خالد (١٤٢٣هـ) . انظر أيضاً الدراسة الأولى في كتاب: جامعة الملك خالد (١٤١٩-١٤٤٢هـ / ١٩٩٨-٢٠٢١م) (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) ( الجزء الأول) .

(٢) لحسن حظي أني كنت معاصراً وشاهد عيان لهذا التطور الحضاري الكبير ، فقد درست في كلية الشريعة وأصول الدين بضعة شهور عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٦-٧٦م) ، ثم انتقلت إلى كلية التربية ، قسم التاريخ والحضارة ، وتخرجت فيه ثم تعينت معيداً في الكلية نفسها عام (١٤٠٠/١٩٨٠) .

(٣) نعم لقد درست ورأيت الكثير من العلماء والأساتذة المبدعين في كلية الشريعة واللغة العربية ، وجميعهم من دول عربية وبخاصة مصر وبلاد الشام . أما الأساتذة في كلية التربية ثم كلية الطب فكان الكثير منهم عرباً درسوا في جامعات عربية وغربية ، وشرقية ، وكانوا على قدر كبير من الأدب وغزارة العلم . كما رأيت أساتذة أجنب من بعض الدول الأوروبية وأمريكا في قسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية وكلية الطب وكانوا أيضاً علماء بارعين ولا أقول إلا سقى الله تلك الأيام الجميلة ، مع تعدد العقبات والصعوبات التي كانت تواجهنا في دراستنا ونضالنا من أجل التفوق والتميز . كما أقول جزى الله أولئك العلماء والأساتذة خير الجزاء ، فلقد أبلوا بلاءً حسناً في تربيتنا وتعليمنا ونصحنا وتوجيهنا . وكانت أعدادهم بالعشرات ، وياحبذا أن يوثق شيء من تاريخهم وجهودهم في خدمة وتطوير التعليم العالي في بلاد عسير خلال السنوات العشر الأولى (١٣٩٦-١٤٠٥هـ/١٩٧٦-١٩٨٥م) .

وتخطيطية، ومنهم الدكتور مزيد إبراهيم المزيد، عميد كلية التربية. والشيخ، ثم الدكتور فيما يعد عبد الله بن عبدالعزيز المصلح، والدكتور فهد عبيد السبيعي، فالأول كان عميدا لكلية الشريعة واللغة العربية، والثاني وكيلا لكلية نفسها. ثم الدكتور أحمد السباعي، أول عميد لكلية الطب في أبها. والدكتور عبدالرحمن الضحيان، وعرف فيما بعد باسم (الجويبر) بدلا من (الضحيان) أول عميد لكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية. ومعهم موظفون سعوديون وغير سعوديين، وجميعهم بذلوا ما في وسعهم أثناء التأسيس ثم النمو والبناء، فجزاهم الله عن طلابهم وعن مناطق الجنوب السعودي خير الجزاء<sup>(١)</sup>.

٢- إن البناء والتأسيس لأي شيء جديد يحتاج إلى جهود جسدية وفكرية ومعنوية ومادية وعلمية جيدة وكبيرة. فإذا كان التأسيس هنا لمؤسسات جامعية جديدة تسعى إلى تطوير الأرض والإنسان. وقد شاهدت بعض الجهود المبذولة، فولاة الأمر، وفقهم الله، ويمثلهم أمير منطقة عسير آنذاك، الأمير خالد الفيصل، ونائبه الأمير فيصل بن بندر بن عبدالعزيز آل سعود كانوا لا يتوانون ولا يتوقفون عن متابعة تأسيس وتطوير ذلك الحدث العظيم والجديد في منطقة عسير، كما كانوا يجتهدون في حل المشاكل والعقبات التي تظهر بين الفينة والأخرى. كما أن العاملين في تلك الكليات مسؤولين وموظفين وأعضاء هيئة تدريس كانوا أيضا يعملون ليلا ونهاراً أثناء التأسيس والبناء<sup>(٢)</sup>.

٤- كانت الجامعتان الأم في الرياض (جامعة الإمام، وجامعة الملك سعود)، وكبار المسؤولين فيهما على اتصال دائم أثناء التأسيس ثم تطوير تلك الكليات الجامعية في أبها. وكانوا يدركون أن هذه الكليات المحدودة سوف تكون نواة لانتشار التعليم العالي في عموم جنوب المملكة العربية السعودية. لهذا فلم يدخروا جهداً في دعم وتدريب طلاب هذه البلاد، ثم تشجيع المتميزين منهم لمواصلة دراساتهم العليا، وكذلك تزويد جميع قطاعات الدولة وبخاصة في جنوب البلاد السعودية بكوادر بشرية جامعية تستطيع إدارة عجلة التطوير والتنمية في كل مكان<sup>(٣)</sup>.

(١) أدون هذه السطور والحزن والحنين يعصر فؤادي على تلك الأيام الجميلة. بجمال أرضها وطيبة ونقاء أهلها، كما أنني أشكر وأدعو لأولئك الإعلام الذين كانوا يرعوننا مثل أبنائهم الذين من أصلابهم، وأحياناً كانوا يقسون علينا ليس للنيل منا، ولكن لتوجيهنا وبناء شخصياتنا، وليس الأمر مقصوراً على الأساتذة السعوديين المذكور بعضهم أعلاه، ولكن على أعضاء هيئة التدريس غير السعوديين، فقد كان الكثير منهم مثل آباتنا فلا يدخرون جهداً في رعايتنا علمياً وفكرياً وثقافياً ومعرفياً. غفر الله لمن مات منهم، ووفق ورزق وحفظ الأحياء.

(٢) لا أقول هذا من فراغ، وإنما كنت مشاهداً ومراقباً لتلك التطورات. فالأميران (خالد وفيصل) يزوران تلك الكليات باستمرار ويتفقدان احتياجاتهما وحل معضلاتها. والعاملون في الكليات تراهم يعملون باستمرار في كل مكان بهدف التأسيس ودفع عجلة النمو والتطوير الجامعي في البلاد.

(٣) هذا الذي حدث فعلاً. فالناظر اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) يجد أن جميع قطاعات الدولة العامة والخاصة في



٥- ازدهرت الثقافة والمعرفة في حاضرة أبها مع تأسيس ثم نمو الكليات الجامعية ، فلم يكن عمل هذه المؤسسات التعليمية مقصوراً على مهنة التدريس وكل ما يتعلق بها من متابعات واختبارات ، وإنما ظهرت أنشطة علمية ومعرفية وثقافية أخرى مثل عقد المحاضرات واللقاءات والندوات ثم المؤتمرات داخل الكليات وخارجها . وذهب من فرعي جامعتي الإمام والملك سعود في أبها من يمثلهما في بعض الاجتماعات واللقاءات الإدارية والعلمية التي كانت تعقد في العاصمة الرياض ، أو في بعض مدن المملكة العربية السعودية الأخرى . وبدأ أعضاء هيئة التدريس في كليات الشريعة واللغة العربية ، والتربية ، والطب يصدرن العديد من الدراسات ، والكتب العلمية في مجال تخصصاتهم ، وكان ضمن نتائجهم العلمي بعض البحوث الخاصة بالأرض والناس في سروات وتهامة منطقة عسير وما جاورها<sup>(١)</sup> . كما شاهدت الكثير من الأمسيات العلمية والأدبية التي عقدت في أروقة الكليات ، أو في نادي أبها الأدبي ، أو في بعض المحافل واللقاءات العلمية بمدينتي أبها وخميس مشيط<sup>(٢)</sup> .

٦- قدوم طلاب الكليات من بلدانهم المختلفة في جنوب المملكة العربية السعودية إلى أبها ، وإقامتهم فيها أربع وخمس سنوات حتى حصولهم على درجاتهم العلمية عامي (١٤٠٠-١٤٠١هـ/١٩٨٠-١٩٨١م) ، أحدث ذلك نقلة ثقافية ومعرفية لأولئك الطلاب ، وصاروا سفراء لبلدانهم في عاصمة عسير (أبها) ، وجلبوا معهم الكثير من الأعراف واللهجات والتقاليد والمعرفة الحضارية التي تعلموها في أوطانهم الأصلية ، كما نقلوا إلى أهلهم وأقاربهم وقراهم ما عرفوه وتعلموه أو سمعوا عنه في

جنوب المملكة العربية السعودية قادها ويدير شؤونها منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) أعلام جامعيون تعلم معظمهم في مؤسسات التعليم العالي في أبها . كما أن تلك الكليات الجامعية بذلت ما في وسعها ، فابتعثت معظم المبدعين والمتميزين من طلابها إلى جامعات عربية وأجنبية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها من أجل الحصول على درجات الماجستير والدكتوراه ، وعند عودتهم قادوا مشعل التعليم ليس في حاضرة أبها أو عسير فقط وإنما في عموم مناطق جنوب المملكة العربية السعودية . حبذا أن نرى باحثاً جاداً ومنصفاً فيدرس دور تلك الكليات الجامعية ثم جامعة الملك خالد في نشر التعليم العالي في مناطق عديدة من بلدان السروات وتهامة ، خلال العقود الخمسة الماضية (١٣٩٦-١٤٤٣هـ/١٩٧٦-٢٠٢٢م) .

(١) أذكر أنه عقد أكثر من ندوة ولقاء في كليتي الشريعة ، واللغة العربية ، والتربية من عام (١٣٩٨-١٤٠١هـ/١٩٧٨-١٩٨١م) ، قدم فيها بعض الأوراق العلمية والأدبية والدينية والاجتماعية والتاريخية والثقافية . ويوجد في تلك الكليتين مركزان للبحوث العلمية ، وكان لهما إسهامات علمية وبحثية في جوانب متعددة وبخاصة في العلوم الشرعية ، والاجتماعية ، والتربوية ، والتاريخية ، وفي علوم الحياة وغيرها . والمتأمل يلحظ ارتفاع نسبة الوعي والثقافة عند الكثير من الناس ، وذلك بفعل تلك الأنشطة التي تقدمها تلك الكليات داخل محيطها وخارجها .

(٢) وجدت في مكتبتي بعض الوثائق والمدونات التي رصدت أسماء بعض تلك الأمسيات وما قدم فيها من محاضرات ، أو قصائد شعرية فصيحة ، وأحياناً مسابقات علمية وترفيهية . وهناك أيضاً العديد من أسماء البحوث والكتب التي أنجزها بعض أعضاء هيئة التدريس آنذاك ، ومنها الذي طبع بمطابع الجامعتين الأم في الرياض ، أو نشرت من خلال نادي أبها الأدبي ، أو في بعض دور النشر داخل المملكة العربية السعودية .

كلياتهم والمجتمع الذي يحيط بها في مدينتي أبها وخميس مشيط وما حولهما<sup>(١)</sup> .

٧- نحن طلاب الجامعة الأوائل في أبها ، لم تكن نشاطاتنا وخبراتنا آنذاك محدودة في إطار مدينتي أبها وخميس مشيط ، وإنما توفرت لنا الكثير من الفرص في السفر والترحال تحت إشراف ومظلة الكليات ، وأحيانا اجتهدا فرديا منا . وأذكر أن الكليات كانت تسق العديد من الرحلات الطلابية إلى شواطئ جازان ، ومنتزهات النماص ونجران . وكان بعض الطلاب يخرجون في رحلات خاصة إلى تلك الأماكن . كما نفذت رحلات عديدة إلى الحج والأماكن المقدسة ، كما قامت كلية التربية ممثلة في عميدها الدكتور مزيد المزيدي وحوالي عشرة أعضاء هيئة تدريس من أقسام علمية وأدبية ، وعشرة طلاب من قسم التاريخ برحلة علمية إلى المدينة المنورة ، وإلى مدائن صالح عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، وقد استغرقت الرحلة حوالي أسبوع تعلمنا فيها الكثير من المعارف والثقافات المختلفة<sup>(٢)</sup> . ورحلات طلابية أخرى إلى مدن جدة ، والدمام ، والإحساء ، والظهران ، والطائف ، وجميعها تصب في توسيع مدارك الطلاب وثقافتهم<sup>(٣)</sup> .

### ثالثاً: ذكريات ومشاهدات في أمريكا ثم أبها (السعودية) (١٤٠١-

١٤٠٧هـ/١٩٨١-١٩٨٧م) :

قضيت سنة دراسية كاملة (١٤٠٠-١٤٠١هـ/١٩٨٠-١٩٨١م) على درجة معيد في كلية التربية بأبها ، قمت خلالها بتدريس مادة التربية البيئية التي كانت ضمن جدول عميد الكلية ، الدكتور مزيد إبراهيم المزيدي ، وبسبب انشغاله وأسفاره المتكررة إلى الجامعة الأم في الرياض ، كلفني القيام بدلا منه بتدريس الطلاب المسجلين في هذه

(١) أدون هذه الخلاصات لأنني عشتها وعرفتها مع زملائي طلاب الجامعة منذ كنت في قرى الآباء والأجداد في سروات النماص ، وأثناء إقامتي وتنقلاتي في حاضرة أبها لمدة خمس سنوات (١٣٩٦-١٤٠١هـ/١٩٧٦-١٩٨١م) . وذلك الحراك التعليمي والاجتماعي والحضاري خلق أجيالا أكثر خبرة ومعرفة وتعلما من آبائهم وأجدادهم ، بل إنهم طبقة اجتماعية مخضرمة عاصرت الكثير من حياة الأوائل في تعاملاتهم وتعايشهم اليومي المحدود . وكذلك انخرطوا للعيش في مجتمعات أكبر في تعدادها السكاني ومساحاتها الجغرافية ، وبالتالي تعلموا وعاصروا معارف وثقافات أكثر وواسع مما ألفوه في قراهم وبلدانهم الأساسية .

(٢) ما زلت أذكر تلك الرحلة ، كما كلفت من الدكتورين محمد الأمين سعيد (سوداني الجنسية) ، وسيد أحمد يونس (مصري الجنسية) بتدوين ما عرفته وشاهدته في تلك الرحلة . وقد دونت صفحات مما شاهدته في المسجد النبوي ، ومقبرة البقيع ، والمسجد السبعة ، ثم سفرنا إلى مدائن صالح وما شاهدناه هناك . وللأسف أن تلك الرحلة المدونة فقدت مني ولم أعثر عليها ، وكانت صفحاتها تزيد عن العشرين .

(٣) كنت من الطلاب الذين ذهبوا إلى الحج أكثر من مرة ، واشتركت في العديد من الأنشطة اللاصفية ، باختيار وتوجيه من عميد الكلية ، الدكتور مزيد إبراهيم المزيدي ، ومن أساتذة آخرين في الكلية . كما شاركت في رحلات طلابية عديدة أرسلت إلى الرياض ، وبعض مدن المنطقة الشرقية ، وزرنا بعض المؤسسات الإدارية والأكاديمية مثل دارة الملك عبدالعزيز ، وجامعة الملك سعود في الرياض . وبعض مصانع البترول ، وجامعة البترول في الظهران والدمام ورأس تنورة . وما زال عندي الكثير من الذكريات التي شاهدتها وعرفتها في حياتي العلمية ورحلاتي الداخلية والخارجية ، أمل أن يمد الله في العمر حتى أستطيع جمعها وتدوينها ثم طباعتها ونشرها .

المادة ، لمدة فصلين دراسيين <sup>(١)</sup> .

كوني معيداً في قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ، فكان لزاماً عليّ أن أذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة الماجستير والدكتوراه ، لهذا عملت جاهداً في الحصول على قبول لدراسة اللغة ثم أكملت دراساتي العليا ، وحصلت على بعض القبولات من عدة جامعات أمريكية ، أهمها: (١) جامعة تكساس بمدينة أوستن. (٢) جامعة تولين (Tulane University) في مدينة نيو أورليانز بولاية لويزيانا. جامعة إنديانا - بلومنجتون (Indiana University – Bloomington) بولاية إنديانا <sup>(٢)</sup> .

تمت الموافقة على ابتعائي إلى جامعة تكساس بمدينة أوستن في عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، وقد عانيت في رحلتي من مطار الظهران إلى مطار لندن هيثرو (Heathrow Airport) ، ومطار جون إف كينيدي (John. F. Kennedy In-ternational Airport) ويعرف باسم (J F K) في مدينة نيويورك ، ومطار هيوستن (Houston) الدولي في ولاية تكساس ، وأطلق عليه مؤخرًا اسم مطار جورج بوش الدولي (George Bush Intercontinental Airport )

كانت صدمة ثقافية كبيرة لي عندما خرجت من قرى سروات بني شهر ومنطقة عسير المتواضعة إلى هذه المطارات العالمية ، وعندما أصبحت في مطار الظهران وعندي رحلة مباشرة إلى مطار جون إف كينيدي. أخبرنا العاملون في المطار أن الرحلة الغيت بسبب اضراب عمال المطارات في أمريكا ، الذين يطالبون بزيادة أجورهم ، وكان رئيس أمريكا آنذاك رونالد ويلسون ريجان (Ronald Wilson Reagan) ، عندئذ حولوا رحلتي إلى مطار هيثرو بلندن ، ومن هناك أذهب إلى مطار كينيدي في نيويورك ، وتم ذلك ، لكن في مطار لندن تأخرت أكثر من (٢٤) ساعة حتى حصلت على طائرة هندية ، وعند وصولي إلى مطار كينيدي كانت أغراضي قد أرسلت من الظهران إلى نيويورك ، وواجهت صعوبات كثيرة حتى حصلت عليها في مكاتب شركة بان أمريكان العالمية (Pan American World) ، وعرفت اختصاراً باسم (بانام) (Pan-Am). وبعد حوالي سبع ساعات وجدت حاجياتي ، ووجدت مهندسا أمريكيا أسود يعمل في مراكز بالمغرب ويرغب السفر إلى هيوستن فحجز لي معه على طيران الدلتا الأمريكي

(١) أذكر أنني علمت مجموعة من الطلاب في كل فصل بهذه المادة ، وكان معظمهم أكبر مني سناً ، ومنهم الذين توفاهم الله ( رحمهم الله تعالى) وآخرون مازالوا على قيد الحياة الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) متقاعدين ، أو بعضهم لم يعمل في وظيفة حكومية إطلاقاً ، وإنما عملوا في بعض التجارات والأعمال الحرة .

(٢) عانيت كثيراً في الحصول على هذه القبولات ، وكان لبعض الأساتذة زملاء في كلية التربية فضل كبير فقد ساعدوني كثيراً في مراسلاتي لتلك الجامعات وغيرها ، وكان أكثرهم تعاوناً معي الأستاذ محمد قاسم توفيق مصري الجنسية ، وعنده جنسية أمريكية أيضاً ، ويحمل درجة ماجستير في علم الاجتماع ، وحسب علمي أنه عاد إلى أمريكا منذ (٢٥) عاماً ، ولا أعلم عنه شيئاً الآن ، فجزاه الله عن خير الجزاء .

(Delta Airlines) وكان إلى جانبي في مقعد الطائرة ، وأوصاني بالحرص على نفسي ومالي ، وكانت رحلتنا في الليل ووصولنا سوف يكون حوالي الساعة الثالثة فجراً . وقال لي : امكث في المطار حتى الصباح ، ثم اذهب حيث تريد ، وكنت أرغب في تسليم أوراق بعثتي إلى المكتب السعودي الثقافى في هيوستن . وعند الساعة السابعة صباحاً ذهبت إلى المحققة فوجهوني لدراسة اللغة في معهد تجاري في المدينة <sup>(١)</sup> .

ذهبت إلى ذلك المعهد التجاري في أحد أحياء مدينة هيوستن ، واستقبلني أخ كريم لا أعرفه من قبل اسمه ماجد الدوسري ، ووضع أغراضى التي اصطحبها في شنطة سيارته ، وكان يدرس في ذلك المعهد <sup>(٢)</sup> ، وأرشدني إلى إحدى المسؤولات في المعهد فأرسلتني إلى أحد الفصول الدراسية . مكثت حوالي الشهر في ذلك المعهد المملوء بالأجانب ، وأغلبهم أسر عربية وخليجية ( صغاراً وكباراً ، ذكور وإناثاً ) يدرسون في ذلك المعهد الركيك في قدراته ومستواه العلمي، ويبدو أن ديدن القائمين عليه هو الكسب التجاري فقط ، لأن معظم الذين يأتون إليه لا يرغبون الاستفادة والتعلم الحقيقي ، وإنما يقضون أوقاتهم بنوع من الترفيه وعدم الجدية . عندئذ ذهبت إلى مكتب المحققة السعودية الذي لايبعد كثيراً عن ذلك المعهد ، وطلبت منهم أن أذهب إلى معهد اللغة الذي يتبع لجامعة تكساس في أوستن ، وعندي قبول من الجامعة لدراسة درجة الماجستير في قسم التاريخ . ولم يكن على المسؤول في الملحق السعودي إلا الترحيب بهذه الفكرة ، وساعدني للذهاب إلى معهد جامعة تكساس ، وتم ذلك .

انتقلت إلى مدينة أوستن ، وسجلت في معهد اللغة التابع للجامعة ، واستأجرت غرفة وحماماً ومطبخاً صغيراً بمبلغ (٢٥٠) دولاراً ، وبقيت حوالي السنة ، انتقلت خلالها إلى سكن آخر أوسع قليلاً بحوالي (٢٨٠) دولاراً ، ولم يكن بعيداً عن الجامعة والمعهد . وتعرفت على طالبات وطلاب أجانب كثيرين في ذلك المعهد ، بعضهم من دول عربية ، أو دول أمريكا اللاتينية ، أو من الصين واليابان وبعض دول شرق آسيا . كما تعرفت على موظف أمريكي في المعهد يدعى مرسلس هارتمان، عمره في الخمسين

(١) هذه الرحلة من مدينة الظهران في السعودية إلى مدينة هيوستن اختصرتها كثيراً في السطور المدونة أعلاه ، لكنني واجهت عقبات كثيرة جداً ، فقد أصبت ببعض الألام الشديدة ، في البطن والرأس ، ولم أستطع النوم إطلاقاً حوالي ثلاثة أيام وأكثر ، وأكلت لحم الخنزير في الطائرة الهندية ولا أعلم أنه لحم خنزير إلا بعد عدة شهور عندما رأيته وذقته في مدينة أوستن تكساس ، وأخبرني أحد زملاء آنذاك بنوع هذا الطعام ، وأحداث كثيرة نفسية وجسدية وثقافية وغيرها . قد أفضلها في مدونة مطولة في قادم الأيام ، ( بإذن الله تعالى ) .

(٢) أحاول منذ أربعين عاماً معرفة مكان هذا الأخ النبيل الذي أسكنني معه أكثر من شهر ، ومازلت أبحث عن مكانه أو رقم هاتفه أو جواله حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) ، كان وقتها - حسب قوله - موظفاً في مؤسسة النقد السعودي ، لكنه جاء إلى أمريكا مرافقاً مع أخته التي حصل لها حادث شنيع في مدينة الرياض ، ونقلت على حساب الدولة للعلاج في هيوستن ، فهو يرافقها ويقضي وقته بدراسة اللغة الإنجليزية في ذلك المعهد التجاري .

تقريباً، وقد ساعدني كثيراً واصطحبني معه إلى بلدان وقرى عديدة في مدن أوستن، ودالاس (Dallas)، وسان أنطونيو (San Antonio) في ولاية تكساس، كما تعلمت منه علوماً ومعارف عديدة<sup>(١)</sup>.

تعرفت أيضاً على أحد مديري المعهد الأكاديميين ويدعى السيد / توماس أندرسون، وتجاوز عمره الستين عاماً، وكان هو الآخر يزورني في شقتي الصغيرة مع زوجته باربرا، وهي سيدة كبيرة متدينة، ثم عرضوا عليّ الذهاب معهم إلى الكنيسة كل أحد، فوافقت، وفرحوا بذلك، وكنت ألبس الزي السعودي الوطني، وعند الدخول إلى القس والعاملين في الكنيسة يفرحون كثيراً، ويعاملونني أحسن معاملة، وربما اعتقدوا أنني سوف أميل إلى ديانتهم، لم يعرضوا عليّ أي شيء من ذلك، لكن لطفهم، والحرص على أخذني معهم كل أحد إلى الكنيسة يدل على أنهم يرغبون في تنصيري، وكنت ولله الحمد محافظاً على ديني وصلواتي في حلي وترحالي، وأسأل الله القبول والجنة. وتعرفت أيضاً على مدرسات ومدرسين آخرين في المعهد من أجل تقوية لغتي والاستفادة العلمية، وكنت أتجنب مخالطة مجالس العرب، وأقضي معظم وقتي في الكتابة والقراءة وسماع أشرطة تعليم اللغة الإنجليزية<sup>(٢)</sup>.

كنت كل الشهور التي قضيتها في المعهد أعاني من ضغط نفسي كبير، كما أنني أعاني من مرض القولون العصبي منذ طفولتي، وقد زادت آلامي ومعاناتي، عندئذ ذهبت إلى مركز طبي فوضعوني تحت الفحوصات الطبية، وبعد أكثر من ثلاثة شهور قالوا عندك قولون عصبي ولا بد أن تتكيف معه، لكنني لم أقتنع بذلك واتصلت بالمحقة التعليمية وشرحت لهم حالتي الصحية والنفسية فحجزوا لي في مستشفى بمدينة هيوستن، اسمه (Hospital Houston Methodist) وذهبت إليه بمفردي وبقيت فيه حوالي (٢٥) يوماً، كنت أغلبها في قسم الصحة النفسية، وكان الطبيب النفسي الذي يزورني إيراني الجنسية، ولم يقدموا لي شيئاً يذكر، اللهم إلا حجري مع غيري من الأمريكان وغيرهم، وجميعهم يعانون من إدمان مخدرات أو أمراض نفسية، والحمد لله أنني خرجت سالماً، فكنت أعيش معهم طوال الوقت. وكان معي مريض كويتي يتجاوز عمره الستين عاماً، وبعض أولاده وبناته يزورونه من وقت لآخر، أما أنا

(١) بعد رجوعي إلى السعودية عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) كنت على تواصل مع الأستاذ مرسلس الأمريكي، ثم انقطعت اتصالاتنا، ولا أعرف عنه أي شيء منذ أكثر من ثلاثين عاماً. يبدو أن مرسلس من آباء وأجداد مهاجرين من الشرق الأوسط، ولا يستبعد أن أصولهم يهودية، مع أنه لم يذكر ذلك، لكنه يذكر بعض أسماء أجداده وهي قريبة من الأسماء اليهودية مثل هارتمان، وديفيد، وعازر وغيرها.

(٢) ما دونت أعلامه مختصراً جداً، وقد أتوسع في مذكرات وسيرة ذاتية أطول في قادم الأيام، وكان لابد من تدوين هذه النماذج من السيرة الخاصة حتى أدون فيما بعد لمحات مما عاصرته في البلاد وعن حياة الناس في مدن أمريكا والولايات التي زرتها.

فلم يزرني أحد، وكنت أعيش مرحلة من الخوف والرعب، وأفكر جاداً في ترك دراستي ورجوعي إلى بلدي •

خرجت من المستشفى وذهبت إلى مدينة أوستن التي تبعد عن مدينة هيوستن حوالي الساعتين وربما أكثر بالباص أو السيارة، وواصلت دراستي في المعهد ثم دخلت الجامعة، ودرست فيها فصلين دراسيين، ونجحت في أغلب المواد التي درستها، ما عدا مادتين. إحداهما بعنوان: (الثورة الإنجليزية) عند الدكتور لفاك (Lavack)، والثانية (تاريخ أوروبا في العصور الوسطى)، عند دكتورته نسيت اسمها، وكانت أعمال وواجبات هاتين المادتين كثيرة، وجميعها باللغة الإنجليزية، ولم أستطع تحقيق درجات عالية فيهما، لهذا قررت الخروج من الجامعة قبل الامتحان، حتى لا تسجل لي درجات هاتين المادتين، وينزل معدلي الذي يتراوح بين الممتاز والجيد جداً<sup>(١)</sup>.

بعد مرور حوالي السنة والنصف تزوجت بزوجتي الأولى (أم المثى)، وهي بنت خالي عبدالله بن محمد بن سعيد العمري شقيق والدتي، وكانت عند زواجي بها عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) في الثامنة عشرة من عمرها، أخذتها معي إلى ولاية تكساس، مدينة أوستن، وعاصرت معي مشاكلي في الجامعة، ورغبتي في الانسحاب منها، وعندئذ عدت إلى قبولي القديم في جامعة انديانا بيلومنجتون، واتصلت برئيسة القسم هناك الأستاذة الدكتورة أندرسون، وقصصت لها مشاكلي، فراجعت ملفي وقبولي السابق، وقالت سوف أقبلك، ونحن الآن على أبواب إجازة، فأحضر جميع أمورك وأغراضك، وقابل سكرتيرة القسم الأستاذة باربرا، وقل لها "الدكتورة أندرسون قبلتني بالتليفون" عندئذ شددت الرحال مع زوجتي (جميلة عبدالله محمد العمري) ووصلت الجامعة وذهبت إلى سكرتيرة القسم، وأخبرتها بما قالت لي رئيسة القسم، فقالت حياك الله، وأنهت جميع إجراءات قبولي وسكني. وبعد عدة اتصالات من سكرتيرة القسم مع إدارة القبول والتسجيل، وإدارة الإسكان. بدأت دراستي في قسم الدراسات الشرقية بالجامعة، وبقيت حوالي عامين ونصف حتى أنهيت درجة الماجستير، ثم قررت الرجوع، وعدم مواصلة الدكتوراه في أمريكا، ورجعت إلى كليتي (كلية التربية) في أبها وقضيت فيها حوالي عامين، من عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) إلى عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ثم ذهبت مرة أخرى لدراسة الدكتوراه في بريطانيا<sup>(٢)</sup>.

(١) مكثت في أوستن تكساس، ودرست في المعهد والجامعة حوالي عامين، لكن مشيئة رب العالمين جعلتني أقرر الخروج من الجامعة، والعودة إلى السعودية، أو الذهاب إلى جامعة أخرى. واستقر قرارى على الانتقال إلى شمال الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة في جامعة إنديانا في ولاية إنديانا •

(٢) اختصرت أخباراً وأحداثاً ومعلومات كثيرة منذ خروجي من ولاية تكساس إلى ولاية إنديانا، ثم حصولي على درجة الماجستير، ورجوعي إلى المملكة العربية السعودية. وقد أسجل سيرتي الخاصة بالتفصيل في عمل علمي آخر، ونسأل الله التوفيق والسداد •

(\*) في الصفحات الآتية أدون شيئاً من التاريخ الحضاري الذي عاصرته ، وعرفت وشاهدت جزئيات كثيرة منه منذ خروجي من مطار الظهران عام (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) حتى رجوعي إلى مدينة أبها عام (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ، وهو على النحو الآتي :

١- الدولة السعودية لم تدخر جهداً في بناء الانسان السعودي ، فقد رأيت ذلك واضحاً للعيان من فتح الكليات الجامعية في عسير عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) ، ثم إرسال الطلاب المميزين إلى الكثير من الجامعات الكبيرة والعريقة في العالم حتى يترقوا ويتعلموا في مجالات علمية مختلفة<sup>(١)</sup> . وهذا ما عاصرته وشاهدته في ولايات وجامعات عديدة في الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(٢)</sup> . فقد كان هناك في العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) أكثر من عشرة آلاف طالب مبتعث في مجالات علمية مدنية وعسكرية ، وفي جميع المراحل العلمية من درجات البكالوريوس والدبلوم العالي إلى الماجستير والدكتوراه<sup>(٣)</sup> .

٢- رأيت تجمعات الطلاب السعوديين في عدد من ولايات أمريكا ، وكان الكثير منهم يعيشون ويدرسون مع زوجاتهم وأولادهم . بل جميع مرافقيهم يواصلون دراساتهم من مراحل الروضة إلى مرحلة الجامعة ، وبعض الزوجات كن يدرسن أيضاً دراسات عليا . والدولة تتولى الصرف عليهم ، فتعطيهم الرواتب الشهرية ، وتدعمهم في دراساتهم ، وسفرياتهم ، ورحلاتهم ، ورعايتهم الصحية ، ومن يبدع ويتميز يعطى جوائز تقديرية على الإبداع والتميز<sup>(٤)</sup> . كما أن الكثير من الطلاب كانوا عناصر

(١) إن الباحث في تاريخ الابتعاث السعودي منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ / ٢٠م) يجد أن الحكومة بذلك ومازالت تبذل قصارى جهودها لتطور الفرد السعودي علمياً ومعرفياً وثقافياً ليس في مؤسسات التعليم العالي الداخلية ، وإنما أرسلت الكثير من طالباتها وطلابها إلى جامعات ومؤسسات عالية مميزة في مشارق الأرض ومغاربها .

(٢) أثناء بقائي في أمريكا أكثر من أربع سنوات زرت خلالها أكثر من (٣٦) ولاية في أنحاء عديدة من الولايات المتحدة الأمريكية . كما زرت كندا وبعض دول أمريكا اللاتينية . وكان الإنسان السعودي محترماً ومقدراً أينما حل أو ذهب . كما رأيت الكثير من الطلاب السعوديين الذين درسوا في مجالات علمية عديدة في عدد من الجامعات الأمريكية والكندية ، وعند عودتهم صاروا أعمدة البلاد في التخطيط والتطوير والتنمية التي تعيشها المملكة العربية السعودية منذ أربعين عاماً .

(٣) هذا الذي سمعته في إدارات الملحقة الثقافية في هيوستن وقرأت عنه وشاهدت الكثير منهم أثناء دراستي في أمريكا عام (١٤٠١-١٤٠٥هـ / ١٩٨١-١٩٨٥م) .

(٤) هذا الذي عرفته ، وحصلت عليه ، وحصل عليه الكثير من الطلاب السعوديين الذين قابلتهم وعاصرتهم في ولايات تكساس ، ولويسيانا ، وفلوريدا ، وأوكلاهوما ، وبنسلفانيا ، وجورجيا ، وأوهايو ، وإنديانا ، والينوي ، وميشجن ، والأabama ، وميرلانند وغيرها . لقد زرت هذه الولايات ، والتقيت ببعض التجمعات الطلابية السعودية فيها ، وشاهدت الكثير من نشاطاتهم الثقافية والعلمية والاجتماعية وغيرها . أمل أن أدون حياة المسلمين كما رأيتها في أمريكا في بداية هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م) .

فاعلة في تجمعاتهم السعودية الخاصة<sup>(١)</sup>، ولهم مشاركات علمية وثقافية ورياضية في جامعاتهم. ومنهم أعضاء فاعلون في خدمة الإسلام والمسلمين، فكانوا يتولون توجيه المسلمين في مدنهم ومقراتهم، فيصلون بهم الجمع والجماعات، ويعقدون أنكحتهم، ويشرفون على بعض الرحلات الاجتماعية، وينظمون حياة أهلهم وأقاربهم وبعض المسلمين القريبين منهم في مواسم رمضان، وعيدي الفطر والأضحى<sup>(٢)</sup>. ولا يتأخرون في تقديم العون والمساعدة لمن يحتاجها<sup>(٣)</sup>.

٢- لم أدون حياة الناس العامة كما رأيتها في ولايات عديدة في أمريكا، أو حتى الدول الأخرى المجاورة التي زرت بعضها. فذلك موضوع واسع يدرس في عشرات الكتب ومئات البحوث. والغالب أنهم شعوب متحررة فلا يتورعون عن قضاء أوقاتهم في لعب ومرح ومجون، وهذا جزء من ثقافتهم الخاصة والعامة. لكنهم يؤمنون ويقدمون الكثير من العادات والتقاليد مثل الانضباط في أعمالهم وكسب أرزاقهم، ومن يتهاون لا يسلم من العقاب، ويحرصون على دقة المواعيد، كما أنهم مؤدبون ولطيفون في تعاملاتهم مع بعضهم البعض. وإذا درسنا تاريخهم الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي، فالمدن والحوضر الكبيرة متقدمة كثيرا في هذه الجوانب، لكن هناك قرى وأرياف مازالت متأخرة في التنمية وتطوير الفرد والأسرة<sup>(٤)</sup>.

(١) عشت في بعض مدن تكساس ودرست فيها، كما أقمت في ولاية إنديانا فترة من الزمن. وتجمعات السعوديين تتفاوت من مكان إلى آخر. فني أوستن كانت الأسر والأفراد قليلة جدا، أما هيوستن فعددهم كثير بحكم مقر المحمية التعليمية السعودية هناك. ومدينة بلومنجتون تكاد تكون أكبر مدينة فيها جاليات سعودية جميعهم من الطلاب، وكان عدد الأسر أكثر من (٦٠) عائلة مع أطفالهم ومعظمهم متقاربون في الإقامة والسكن.

(٢) عشنا أيام جميلة لا تنسى، وإخواننا وزملاؤنا السعوديون في مدينة بلومنجتون كانوا شغلة ساطعة لخدمة أخواتهم وإخوانهم السعوديين. ومنهم من كان خيرا وبركة على المسلمين المتعدلين في تلك المدينة، فهم يخدمونهم من خلال المركز الإسلامي هناك، ويقدمون لهم ما يستطيعون من النصيحة والمعونات المعنوية والمادية. أرجو أن يمد الله في العمر فاكتب عن من عرفناهم وعاصرناهم من السعوديين وغيرهم من المسلمين الصالحين في مدينة أوستن وبلومنجتون (١٤٠١-١٤٠٥هـ/١٩٨١-١٩٨٢م). وأعرف الكثير من الأعلام الذين قدموا الكثير لخدمة الإسلام والمسلمين في تلك المدينتين وغيرهما.

(٣) عندما كنت أعيش في أمريكا (١٤٠١-١٤٠٥هـ/١٩٨١-١٩٨٥م) كان الفرد السعودي والسعودية في قمة الراحة وتسهيل الأمور الرسمية وغير الرسمية. بل الأمريكان أنفسهم (رجالا ونساء) يقدرون السعودي والسعودية أينما ذهبوا، ولا يسببون لهم أي مشكلة إطلاقا. وبقوا على هذا الوضع حتى أحداث (١١) سبتمبر عام (٢٠٠١م)، عندئذ تحول الوضع، وأصبح السعوديون يقابلون عقبات ومشاكل متنوعة، وحصل لبعضهم بعض الاعتداءات، وذلك بسبب الإعلام والكرهية التي بثها بعض الحاقدين والمعادين للعرب عامة وللسعوديين خاصة. هذا الموضوع مجال مهم للدراسة والبحث والتوثيق فتقدم دراسة مقارنة لحياة السعوديين العامة والخاصة في أمريكا من عام (١٢٨٠-١٤٤٣هـ/١٩٦٠-٢٠٢٢م)، أمل أن نرى باحثا جادا يدرس هذا العنوان دراسة علمية موثقة.

(٤) أدون هذا الرصد عن بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، لأنني رأيت وشاهدت الكثير من التطورات في المدن والتجمعات السكانية الكبيرة كما زرت قرى وأريافا تعاني من نواقص عديدة في حياة الناس الضرورية.



لا جدل ولا خلاف في جمال طبيعة البلاد الأمريكية ، واحتوائها على الكثير من المعالم التاريخية والأثرية والتراثية . ووجود المدن والأمكنة الترفيهية في كل مكان . والأمريكان أيام دراستي هناك وجدتهم أقل تعصبا وعنصرية من غيرهم في العالم الغربي ، ولا تنكر أن هناك حاقدين ومتعصبين للأجناس الأخرى لكنهم قليلون آنذاك ، وربما مازال الوضع نفسه حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) ، لكن السياسات المعادية والحاقدين للإسلام يحرضون على رفع سقف العداوة ضد العرب والمسلمين ونشر الكراهية تجاههم<sup>(١)</sup> .

رأيت الكثير من الأجناس المسلمة (عرباً وغير عرب) يعيشون في بلاد أمريكا ، ومنهم من تزوج أمريكيات وأنجبوا منهن ، وآخرون استقروا هناك وانخرطوا في أعمال ووظائف رسمية وغير رسمية . بل شاهدت مجموعات كثيرة يعملون في المهن التجارية ، والصناعية ، والتعليمية وبخاصة في الجامعات ومراكز الأبحاث . كما سمعت وعرفت بعض العرب ومنهم سعوديون فضلوا الإقامة هناك وعدم الرجوع إلى بلدانهم الرئيسية . ولم يكن كل المسلمين هناك على قلب رجل واحد ، وإنما تراهم أحزابا وجماعات يؤمنون بالكثير من الآراء والمعتقدات التي يدعون أنها إسلامية صرفة ، ولا تخلو من العيوب والمغالطات . والجميل أن الطلاب السعوديين الذين يدرسون هناك تربطهم أندية ثقافية وعلمية واجتماعية ترعاها الدولة السعودية وتمولها وتوجهها التوجيه السليم المتوافق على منهج الله واتباع كتابه وسنة رسوله ﷺ<sup>(٢)</sup> .

لم أفصل الحديث عن حياة الطلاب أو جميع السعوديين هناك وبخاصة في حياتهم اليومية أو معيشتهم من طعام وشراب ، أو لباس وزينة ، أو قضاء أوقات أفرانهم وفنونهم وأعيادهم ومناسباتهم الاجتماعية ، أو عاداتهم وتقاليدهم الأخرى كالزواج ، وزيارة المريض ودفن الأموات ، ولا روايتهم ، ومصاريضهم ، وطرق علاجهم وخدماتهم الخاصة والعامة ، وما يعيشونه من سلبيات وإيجابيات في المجتمع الأمريكي الكبير<sup>(٣)</sup> .

(١) الشعب الأمريكي العادي (أفراداً وجماعات) لا مشكلة عندهم ضد الغير ، والواحد منهم يتعايش مع أي جنس وعنصر بشري . لكن هناك ساسة وإعلاميون وتجار وصهاينة وماسونيون يجتهدون في توسيع رقعة الخلاف بين الشعب الأمريكي وغيره من الشعوب .

(٢) زرت الكثير من أندية الطلاب في ولايات عديدة من أمريكا ، وكانت تدار من خلال الملحقة التعليمية السعودية هناك ، ويحدد في كل ناد من يتولى أموره حسب المنهج والخطط المرسومة . وكان هناك مجلة اسمها (مجلة المبتعث) تشرف عليها أيضا الملحقة وتعين من يتولى تحريرها وتحرص على نشر أخبار الطلاب في عموم البلاد وكل ما يدور عن أحوالهم وأوضاعهم . بهذا أن نرى باحثا جادا يدرس تاريخ الأندية الطلابية في أمريكا منذ تأسيسها في القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) .

(٣) كل هذه المحاور جدية بالتقصي والدراسة والبحث ، ومن يفعل ذلك فسوف يجد مادة علمية كبيرة تدون في عشرات البحوث ، أمل أن نرى مؤرخين وباحثين يساهمون ببعض الشيء في هذا المجال .

عدت في إجازة إلى مدينة أبها عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، وكانت الرغبة أن أتوقف عن مواصلة الدكتوراه والبحث عن عمل إداري في الجامعة ، أو مواصلة دراستي داخلها. تركت زوجتي وابني المثنى عند والد الزوجة ، خالي عبد الله بن محمد العمري ، في مدينة الدمام . وقضيت عدة أسابيع بين أبها والنماص ، ورأيت الحياة التنموية والحضارية تتطور في منطقة عسير ، ولم يكن عندي منزل خاص ، وأوضاعي المادية ضعيفة ، لهذا قررت الرجوع مرة ثانية إلى أمريكا ، لإنهاء بعثتي والرجوع بشكل نهائي. مكثت في أمريكا حوالي الشهر والنصف ، وتقلت بين ولايتي إنديانا ، مقر الجامعة ، وهيوسطن مقر الملحقة التعليمية السعودية ، وأخذت جميع حقوقي وشهاداتي وأوراقتي الضرورية من الملحقة والجامعة ، وعدت إلى الرياض ، ثم ذهبت إلى وكيل جامعة الملك سعود وأخبرته أنني الغيت بعثتي ، وأرغب مواصلة دراستي داخلها ، فقال: لا يمكن ذلك في جامعة الملك سعود ، لكن إذا أردت أن تنقل إلى أي جامعة محلية فلك ذلك . وأثناء ترددي على إدارة الجامعة في الرياض ، قابلت عميد كلية التربية في أبها آنذاك الدكتور عبد اللطيف حسين فرج (رحمه الله) <sup>(١)</sup> . وشكوت إليه وضعي وأبدت له رغبتي ، وأخبرته عن مقابلي لوكيل الجامعة ، فطلب مني التريث حتى يقابل الوكيل في اليوم الثاني ويناقشه عن الأمر ، وفي اليوم الأول أكرمني الدكتور عبد اللطيف فرج وتناولنا وجبة الغداء في مطعم الجامعة . ثم قابلني اليوم الثاني وأخبرني أن وكيل الجامعة متمسك بقوله الذي قال لي من قبل . وقال يا غيثان نحن في نهاية العام ، اذهب فباشر عملك في الكلية ، ولا تعد إلى الكلية إلا مع بداية العام الدراسي القادم . عندئذ عدت إلى أبها وفعلت ما وجهني به عميد الكلية . ثم ذهبت إلى النماص وكان عندي قطعة أرض جاهزة ، وموثقة بصك شرعي ، فقدمت عليها قرضاً في صندوق التنمية ، وبعث سيارة كرسيدا شريتها من الدمام عندما رجعت من أمريكا في إجازتي الأخيرة ، واتفقت مع أخ زميل يعمل في مقاولات البناء والتشييد على البدء في بناء منزل لي في النماص ، وتم الاتفاق وبداية العمل قبل مباشرتي الدوام في الكلية في أول العام الدراسي الجديد .

بدأت العمل في الكلية ، وأخذت جدولاً كاملاً حوالي (١٥) ساعة في الأسبوع ، وبقيت على درجة معيد ، وجميع المسؤولين والعاملين في الكلية أساتذة وموظفين متعاقدين ، وعميد الكلية الدكتور عبد اللطيف فرج ، ووكيله عبد السلام الجنبي <sup>(٢)</sup> . وهناك عمادة للقبول والتسجيل ويدير شؤونها الدكتور مزيد إبراهيم المزيد ومعه بعض

(١) الدكتور عبد اللطيف فرج من أهل مكة ، وتخصصه في المجال التربوي ، كان على قدر كبير من الدمثة وحسن الخلق ، بل كان سهلاً ومتواضعاً في حديثه وتعاملاته مع الناس .

(٢) الدكتور الجنبي من أهل الحجاز ، عمل في إدارة تعليم أبها سنوات عديدة ، ثم التحق بالجامعة وتخصصه أيضاً تربية ، كان ذو أخلاق طيبة ، وتعاملاته مع الآخرين حسنة .

الوكلاء كالدكتورين طلال بكري<sup>(١)</sup>، وعلي الجنوبي<sup>(٢)</sup>.

عملت في الكلية معيداً حوالي العام والنصف، وقد أرهقت كثيراً، فنصاب التدريس عال، وعندى عمارة تبني في النماص، وأضطر نهاية كل أسبوع إلى السفر إلى هناك، وزوجتي وابني في أبها، وقد التحقت الزوجة بكلية التربية للبنات بأبها، تخصص انجليزي. كما أن مجتمع العمل كان مزعجا وغير مستقر، لأن تعيين مناصب عمادات الكليات يجري بالتصويت، وكان هناك صراع شديد بين أعضاء هيئة التدريس السعوديين، وهم قلة في الكلية وفرع الجامعة، على من يتولى منصب عمادة كلية التربية<sup>(٣)</sup>.

في حوالي عام ونصف (١٤٠٥ - ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٥ - ١٩٨٧ م) عشتها في سروات وتهامة منطقة عسير، وجدت التنمية الحضارية تسير بشكل جيد، فزادت وتوسعت الطرق الصغيرة والكبيرة، وتوعدت وتكاثرت الأسواق اليومية، وانتهت أو مازالت بعض المشاريع التنموية العملاقة في طريقها إلى الانتهاء<sup>(٤)</sup>. كما زادت ونشطت الحياة التجارية، والصناعية، والثقافية والعلمية والفكرية<sup>(٥)</sup>.

(١) الدكتور طلال بكري من أهل جازان، وتخصصه وسائل تعليمية، عمل في فرع جامعة الملك سعود وكيلاً ثم عميداً للقبول والتسجيل لسنوات عديدة، ثم عمل أيضاً في مجلس الشورى أكثر من دورة وهو الآن (٢٠٢١هـ / ٢٠٢١م) في مدينة أبها، وصاحب أخلاق حميدة.

(٢) الدكتور علي الجنوبي من محافظة القطيف وتخصصه علم نفس، مكث سنوات عديدة في أبها، ثم انتقل إلى الوزارة في الرياض، وتوفي منذ سنوات عديدة (رحمه الله).

(٣) إن الحديث عن تلك الفترة مؤلم جداً، لأنني كنت مستخدماً بامتياز من قبل رئيس وأعضاء قسم التاريخ وجميعهم متعاقدون، ومن إدارة وعمادة الكلية أيضاً، فقد كانوا يكلفونني بأعمال كثيرة فوق طاقتي، ولم أستطع الاعتراض، أو الحصول على مخرج من تلك الأزمة. كما أن عميد الكلية عبداللطيف فرج قد انتهت فترة عمادته، وجميع السعوديين لا يرغبون في التجديد له، لكن القرار عند رؤساء الأقسام، وجميعهم أيضاً متعاقدون، ولا يريدون أحداً غير الدكتور عبداللطيف فرج، وجرى التصويت بإشراف وكيل الجامعة للفروع، الأستاذ الدكتور محمد الجار الله، وتم اختيار الدكتور عبداللطيف لفترة ثانية. فكان الأمر مثل الصاعقة على أعضاء هيئة التدريس السعوديين، لكنهم رضخوا في نهاية الأمر لنتيجة التصويت. ومن حسنات وزارة التعليم العالي، فيما بعد، أن جعلت تتصيب أي عميد كلية بالتعيين المباشر من إدارة الجامعة بعد أخذ بعض الإجراءات والاحتياطات الإدارية والأمنية فيمن يعين لهذه المناصب.

(٤) تجولت في ربوع مدن منطقة عسير الرئيسية مثل: أبها، وخميس مشيط، وبيشة، والنماص، ومحال عسير وغيرها فوجدتها مكتظة بالسكان وفيها معظم الأنشطة الحضارية المختلفة. كما أن الطرق التي تربط بين تلك الأجزاء أصبحت أحسن مما كانت عليه في نهاية القرن (١٤هـ / ٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ / ٢٠م)، وأصبح مطار أبها حلقة وصل نشطة بين منطقة عسير وغيرها من مدن المملكة العربية السعودية. وكانت هناك شركات ومؤسسات حكومية وأهلية جميعها تعمل في كل ما يخدم البلاد والعباد.

(٥) إن المتجول في ربوع عسير آنذاك (١٤٠٥ - ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٥ - ١٩٨٧ م) يشاهد الأسواق الصغيرة والكبيرة التي تعمل طوال النهار وفي الساعات الأولى من الليل، كما يلاحظ الأسواق الأسبوعية مازالت نشطة وتؤدي خدمات كبيرة لعامة الناس. وهناك الكثير من المحلات الصناعية الحرفية المتنوعة في مهنتها وخدماتها. أما التعليم العام فقد تزايدت المدارس بشكل كبير، وأصبح في منطقة عسير إدارات تعليمية عديدة تقوم على خدمة العلم والمتعلمين من الطالبات والطلاب. وكذلك كليات فرعي جامعتي الإمام والملك سعود توسعت في تخصصاتها، وزيادة الطلاب المقبولين بها وارتفاع أعداد أعضاء هيئة التدريس من المتعاقدين

## رابعاً: ذكريات ومشاهدات في بريطانيا (١٤٠٧-١٤٠٩هـ/١٩٨٧-١٩٨٩م):

حاولت أثناء إقامتي في أبها الانتقال إلى فرع جامعة الإمام محمد بن سعود في أبها حتى أتمكن من مواصلة درجة الدكتوراه داخليا، لكن ذلك لم يحصل، وكان في ذلك فضل وخير كبيران<sup>(١)</sup>. كما أن الوضع الاجتماعي وبيئة العمل كانت غير مريحة، لأسباب كثيرة يصعب ذكرها في هذه السطور<sup>(٢)</sup>، فلم يكن أمامي إلا السفر إلى بريطانيا وإكمال دراستي لدرجة الدكتوراه. بدأت أسعى في الحصول على قبول، لكن معظم الجامعات الإنجليزية تطلبني بدارسة الماجستير مرة ثانية، وبعد جهد كبير حصلت على موافقة لدرجة الدكتوراه في قسم الدراسات الشرقية في جامعة مانشستر (University of Manchester)<sup>(٣)</sup>.

أرسل لي مشرفي الأستاذ الدكتور بوزورث (Bosworth) القبول على درجة الدكتوراه، وبداية الدراسة بعد ستة شهور من تاريخ وصول القبول، فكانت فرصة كبيرة أن اذهب إلى المكتبات الكبرى في الرياض وجدة ومكة والمدينة المنورة من أجل جمع مادة رسالتي الموافق عليها، وعنوانها: تاريخ الحياة الاجتماعية والحرفية والتجارية في الحجاز خلال العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٧م)<sup>(٤)</sup>، (The Social, Industrial, and Commercial, History of The Hegaz Under The Early Abbasids (132-232/749 847).

استطعت أن أجمع الكثير من الدراسات والبحوث والمصادر التي تصب في خدمة بحثي، ثم فهرست عناوين ما تم جمعه، وصورت ما استطعت تصويره، ثم ذهبت بمفردتي إلى بريطانيا وقابلت المشرف الأستاذ الدكتور بوزورث، وأطلعته على ما جمعت من مادة لها علاقة بمشروعي العلمي، فسر بذلك، وعرف أنني طالب جاد

والسعوديين. والوضع نفسه في مؤسسات التعليم العالية الأخرى في المنطقة مثل كلية التربية للبنات بقسميها العلمي والأدبي، وكلية المعلمين ومعاهد ومؤسسات تعليمية عامة وعالية أخرى. وكان للنادي الأدبي دور كبير في تطوير الحياة الثقافية والأدبية والعلمية والتعليمية ليس في مدينة أبها، وإنما في مدن أخرى عديدة في منطقة عسير.

(١) نعم لأن دراسة الماجستير والدكتوراه داخليا وبخاصة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تأخذ سنوات عديدة، وأعرف بعض زملائي وطلابي الذين مكثوا (١٥) عاما للحصول على الدرجتين. وهذا وقت طويل ومبالغ فيه.

(٢) ذكرت بعضها في سطور سابقة، ولو فصلت الحديث في هذا الجانب فقد يستغرق عشرات الصفحات.

(٣) كان لأستاذي والمشرف على رسالة الدكتوراه الأستاذ الدكتور س. بوزورث (C.E. Bosworth) فضل كبير عليّ، فهو عالم جليل له بحوث ودراسات علمية كثيرة وبخاصة عن تاريخ وحضارة بلاد العرب والفرس. وكان رئيس تحرير الموسوعة الإسلامية (الطبعة الثانية). وقد بذل جهودا كبيرة وطيبة في مساعدتي وتوجيهي أثناء جمع وكتابة رسالتي للدكتوراه، فجزاه الله عني خير الجزاء.

(٤) عدد صفحات الرسالة (٣٢٦) صفحة، مقاس (A4)، وصدرت من قسم الدراسات الشرقية بجامعة مانشستر في نهاية عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

مجتهد، وأثنى على جهودي، ثم قال اذهب واقرأ كل ما جمعت، وابتحث في مكتبة جامعة مانشستر وما تستطيع من مكنتات أخرى في بريطانيا، فأخذت بنصائحه، ولحقت بي زوجتي وابني المثني، وبقيت عامين كاملين في عمل مستمر، مع تردددي الدائم على المشرف والقسم حتى تمكنت من تقديم بحثي ومناقشته وحصولي على درجة الدكتوراه في نهاية عام (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) <sup>(١)</sup>.

لم أكن بمعزل عن حياة الناس في بريطانيا، وإنما كنت على صلة مباشرة بالحياة داخل الجامعة، وفي الأماكن العامة. نعم زوجتي أم المثني كفتني متابعة حياتنا في الأكل والشرب والخدمات الخاصة وما نحتاجه من خارج البيت، فكانت هي المسؤولة عن توفير جميع التزاماتنا الخاصة والعامة، بل هي من يتولى أمور نفسها وابنها المثني، وكذلك ابنتها (دانية) وكنت فقط مشغولاً بعملتي العلمي والبحثي <sup>(٢)</sup>.

كان السعوديون كثيرين في مدينة مانشستر، وجميعهم طالبات وطلاب، أما مدينة لندن وما جاورها فهناك الكثير جدا من العرب ومنهم السعوديين. وفي حاضرة مانشستر مسلمين عرب وغير عرب كثيرون، ومعظمهم من بلاد الشام، والمغرب العربي، ومن الهند وباكستان. وكانوا أصحاب عقارات وثروات كثيرة، بل ترى بعضهم يملكون عشرات المنازل والمحلات التجارية، والأراضي الزراعية والسكنية. وإن تجولت في بعض شوارع مدن مانشستر، وبرمنجهام ولندن وغيرها فإنك ترى الهنود والباكستانيين يمثلون نسبة عالية من سكان تلك البلاد، ومعظمهم يعيشون حياة مالية واقتصادية جيدة <sup>(٣)</sup>.

كان وضع الطلاب السعوديين جيداً، فلم يكن مختلفاً عما عاصرته وعرفته في أمريكا، فالجميع مخدومون مالياً واقتصادياً وصحياً. والدولة تبذل ما في وسعها لرعاية جميع طالباتها وطالبها في بريطانيا وغيرها. كما أن الحياة الاقتصادية في بريطانيا كانت يسيرة نوعاً ما. فالسكن المكون من غرفتين أو ثلاث لا يتجاوز أجرته (٢٥٠-٣٠٠) جنيه استرليني، وأسعار اللباس، والطعام والشراب، والمواصلات،

(١) لم أفضل أخبار رحلتي في طلب العلم وجمع مادة رسالتي للدكتوراه من بريطانيا والسعودية، لكنني اجتهدت بشكل كبير، فلم أضيع يوم أو ليل من مواصلة دراستي وبحثي والاطلاع على كل جديد حتى انتهيت البحث في وقت قصير. وكان لزوجتي (جميلة العمري) (أم المثني) الفضل الكبير في تحقيق ذلك الإنجاز السريع والكبير، فلها جزيل الشكر والعرفان.

(٢) هذه الحقيقة وللأمانة وللأمانة وللأمانة، فهي صاحب فضل ونيل في توفير الجو المناسب لإنجازي دراستي في وقت قصير جداً، فغفر الله لي ولها ولجميع المسلمين.

(٣) وجدت العرب والمسلمين يعملون في قطاعات اجتماعية واقتصادية عديدة في بلدان بريطانيا وأمريكا وغيرها من دول الغرب. لكن أعدادهم في إنجلترا كثيرة وبخاصة الهنود والباكستانيون فقد جاء الكثير منهم خلال القرون الماضية المتأخرة، فاستقروا في تلك البلاد، وحصلوا على الجنسية الإنجليزية، ومن ثم عاش الأبناء والأحفاد عيشة اقتصادية وحضارية جيدة.

والأدوات الدراسية والتعليمية كانت جميعها ميسرة ، وأسعارها معقولة <sup>(١)</sup> . والطالبة أو الطالب السعودي يصرف لها مكافآت ورواتب شهرية فلم يكن يشعر الواحد بصعوبة الحياة المعيشية <sup>(٢)</sup> .

تربط الطلاب السعوديين رابطة الزمالة والإخوة، فقد عرفنا الكثير منهم من جميع بلدان المملكة العربية السعودية، ولا نشعر بفوارق أو اختلافات في حياتنا العامة والخاصة، وإنما كانوا جميعاً مثل الأسرة الواحدة ، فهم يجتمعون مع عوائلهم نهاية كل أسبوع أو أسبوعين في مركز أو نادي الطلاب <sup>(٣)</sup> . فيقضون فيه أوقاتاً من الفرح والتألف والتراحم والمودة . ولهم أنشطة ترفيهية واجتماعية وثقافية يمارسونها في نواديهم ، وفي مناسباتهم الاجتماعية المختلفة . ويجدون التوجيه والدعم المعنوي والمادي المستمر من السفارة والمكاتب الثقافية والعسكرية السعودية <sup>(٤)</sup> .

عملت مدة إقامتي في بريطانيا عضواً في نادي الطلاب السعودي في مانشستر ، كما كنت عضوية تحرير في مجلة الطالب التي يصدرها نادي الطلاب في بريطانيا ، ويشرف عليها المكتب الثقافي هناك . وكنت مع بعض الإخوة زملاء مثل رئيس أندية الطلاب وبعض أعضاء إدارته نتجول في مدن بريطانيا الكبيرة ، وتلقي بالطالبات والطلاب السعوديين ونوثق شيئاً من تاريخهم وأنشطتهم الاجتماعية والثقافية وغيرها . وأحياناً نرصد بعض الموضوعات التي تتعلق بالمجتمعات الإنجليزية وعلاقتها بالمسلمين في بريطانيا أو أوروبا بشكل عام أو العرب والسعوديين بشكل خاص <sup>(٥)</sup> .

(١) حديثي عن بريطانيا خلال العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، والحياة الاقتصادية والمعيشية في كل مكان كانت أفضل مما نراه اليوم، فقد ارتفعت الأسعار والأجور في كل شيء ، فيذكر أن الشقة التي كنا نستأجرها قبل (٢٥) سنة بـ (٢٠٠-٣٠٠) جنيه ، تقدر أجرتها اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) بـ (١٥٠٠) إلى (٢٠٠٠) و٢٥٠٠ جنيه استرليني .

(٢) أقول هذا الكلام لأنني عشت التجربة في كل من أمريكا وبريطانيا حوالي (٦-٧) سنوات في العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وزاملت وعرفت الكثير من العرب والمسلمين طلاباً وعمالاً وغيرهم ، فكانوا يعيشون عيشة قاسية جداً لضعف مواردهم الاقتصادية ، والكثير منهم كانوا يدرسون ويعملون في الوقت نفسه من أجل كسب أقواتهم . ولم تكن نحن الطلاب السعوديين وبعض الخليجيين نشعر بتلك الضائقة الشديدة التي كان يعيشها إخواننا وأخواتنا من المسلمين (عرباً وغير عرب) .

(٣) رأيت في كثير من مدن أمريكا وبريطانيا الكبيرة ، ومن المؤكد في الدول الغربية والشرقية التي يعيش فيها طالبات وطلاب سعوديون ، أندية أدبية وثقافية مدعومة من الدولة ، من أجل الحفاظ على هوية الإنسان السعودي الفكرية والثقافية والحضارية .

(٤) لم أجد بحثاً وكتباً علمية كثيرة موثقة وجيدة ترصد تاريخ السفارات والمكاتب الثقافية والعسكرية السعودية في العالم ، وما تقدمه من جهود كبيرة في خدمة الطالبات والطلاب السعوديين . ومن يدرس هذا المجال فإنه سوف يجد مادة كبيرة صحيحة تصب في خدمة هذا الموضوع .

(٥) عاصرنا الكثير من الأخبار والأحداث الخاصة بالعرب والسعوديين ، وبالمسلمين بشكل عام ووثقنا الكثير منها بالتدوين الدقيق والصورة الفوتوغرافية . وأقول إن مجلة الطالب في بريطانيا مصدر جيد لرصد صفحات من تاريخ الطلاب السعوديين في تلك البلاد . أمل أن تدرس هذه المجلة منذ بدايتها حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) ، ومن يفعل ذلك سوف يطلعنا على علوم ومعارف قيمة .

كان للمراكز الإسلامية والمساجد في بريطانيا دور كبير في خدمة المسلمين شرعياً، وثقافياً، ومعرفياً وحتى اجتماعياً ونفسياً واقتصادياً. وكان للطلاب السعوديين دوراً رائداً في خدمة تلك المراكز والإشراف عليها، وجلب الدعم المادي لها من مؤسسات الدولة السعودية وبعض التجار والمقتردين في المملكة العربية السعودية<sup>(١)</sup>. كما أن هذه المراكز التي يعمل فيها بعض السعوديين تعمل وتجتهد في إبلاغ الدين الإسلامي إلى الآخرين باعتدال ووسطية<sup>(٢)</sup>.

**(\*) ذهبت إلى بريطانيا وقبلها أمريكا لدراسة التاريخ الإسلامي في جامعاتهم، ومثلي كثير من الذين درسوا تخصصات نظرية في التراث والموروث الإسلامي كاللغة العربية، لغتها وآدابها وفنونها، وبعض العلوم الإسلامية الشرعية ومجالات تراثية أخرى عديدة. وقد يقول قائل كيف يمكن دراسة هذه العلوم في بلدان أجنبية مثل بريطانيا وغيرها من دول الغرب أو الشرق<sup>(٣)</sup>. ومن خلال رحلتي العلمية لدرجتي الماجستير والدكتوراه، وما عرفته وشاهدته بخصوص هذا التساؤل، أدون ما يلي:**

١- إن دول الغرب استعمرت بلدان العرب والمسلمين عقوداً عديدة، واجتهدوا في نهب ثروات بلادهم، وموروثهم الحضاري. ثم بذلوا ما في وسعهم لبناء جامعاتهم ومكتباتهم ومؤسساتهم العلمية والثقافية وحفظوا ما جلبوه من بلدان المسلمين من تراث معرفي (مخطوطات، ومؤلفات، ووثائق، وأدوات أثرية وغيرها)، وبالتالي صارت بلادهم مقصد الكثير من الباحثين والدارسين في مشارق الأرض ومغاربها، وطلاب الدول العربية والإسلامية في مقدمة أولئك القاصدين<sup>(٤)</sup>. كما أنهم عملوا واجتهدوا في توفير ذلك التراث العربي والإسلامي لكل من يرغب البحث والدراسة مع إيجاد الآليات والطرق السهلة التي تساعد الباحث في إنجاز عمله العلمي<sup>(٥)</sup>.

(١) من يدرس دعم المملكة العربية السعودية لخدمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، فإنه سوف يجد مئات الكتب والبحوث التي توثق هذا الجانب. وما زال هناك جوانب وجزئيات وموضوعات تستحق البحث والدراسة. أمل من أقسام التاريخ في الجامعات السعودية أن تخدم هذا الموضوع من خلال رسائل وبحوث أساتذتها وطلابها.

(٢) رأيت الكثير من العلماء والمشايخ السعوديين وغيرهم من بلاد الإسلام يأتون إلى دول أوروبا وغيرها من أجل نشر الدين والدعوة الإسلامية الصافية. وحضرت ندوات ومؤتمرات إسلامية كثيرة عقدت في بعض المدن الأمريكية والأوروبية من أجل خدمة المسلمين هناك. ولا تخلو تلك البلدان من مسلمين يحملون تيارات وأفكاراً هدامة للإسلام، وتجد من يدعمها ويشجعها من المسلمين وغير المسلمين. وتاريخ الندوات والمؤتمرات الإسلامية في الغرب موضوع كبير، وعنه مادة علمية ومصادر كثيرة، وخرج عنه بعض الكتب والرسائل العلمية، لكن ما زال يستحق أن يدرس دراسات أطول وأعمق وأفضل.

(٣) نجد بعض طلاب الدراسات العليا في جامعاتنا السعودية ذهبوا للدراسة إلى دول غربية عديدة، وآخرون سافروا إلى بلدان شرقية مثل الصين، والهند، وروسيا وغيرها. ومثل هذا الموضوع يستحق الاهتمام من أقسامنا ومراكز بحوثنا العلمية.

(٤) زرت العديد من المكتبات الجامعية في الغرب وبخاصة بعض الدول الأوروبية فوجدتها تحوي آلاف المخطوطات والكتب النادرة العربية التي أخذت من بلاد المسلمين أثناء الاحتلال الغربي لبلادهم خلال القرون الماضية المتأخرة.

(٥) إذا قارنا سهولة ويسر الحصول على المعلومة العلمية في بلدان الغرب ودولنا العربية والإسلامية فليس هناك

٢- لم يتوقفوا عند خزن تراثنا وحفظه ، وإنما ظهر منهم باحثون جادون درسوا وحققوا وترجموا الكثير من هذا التراث ثم طبعوه ونشروه . ومراكز أبحاثهم وجامعاتهم خصصت ومازالت تدفع الأموال الطائلة لخدمة هذا الجانب . نعم إنهم فعلوا ذلك لخدمة أنفسهم سياسيا واقتصاديا وحضاريا ، ومعرفة هذا التراث ودراسته جعلهم أصحاب السيطرة والهيمنة على بلدان المسلمين وفي شتى المجالات . ولا نقول أنهم جميعا خدموا العلم . بحيادية ونزاهة ، لكن فيهم من اتصف بالعدل والإنصاف إلى حد ما ، وهم قلة وآخرون كثيرون درسوا وحققوا وترجموا الكثير من التراث الإسلامي ولبسوه الكثير من الشروحات والتعليقات والاستنتاجات والتفصيلات الحاقدة المغرضة المعادية <sup>(١)</sup> .

٣- إن حرص الدول العربية والإسلامية ، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية ، كانت ومازالت ذات قرارات صائبة في ارسال بناتها وأبنائها إلى جامعات الغرب والشرق من أجل الدراسة والحصول على أعلى الشهادات . وقد عرفت على مدار الأربعين عاما الماضية الكثير من الطلاب الذين نهلوا من مؤسسات الغرب التعليمية وحصلوا على درجتي الماجستير والدكتوراه في شتى العلوم مثل العلوم النظرية والإنسانية ، ثم عادوا إلى جامعاتهم وبلدانهم فكانوا أعلاما منيرة لأهلهم وأبناء بني جلدتهم <sup>(٢)</sup> .

٤- مازال مستوى البحث العلمي أفضل بكثير في دول الغرب ، من حيث الجودة والنوعية والدعم والتشجيع . وقد عملت وزرت بعض الجامعات ومراكز بحوث علمية في أمريكا وأوروبا فرأيتها تحرص على تعليم مناهج البحث العميق الرصين ، ولا تدخر جهدا في دعم وتشجيع المبدعين والمميزين من أهلهم وبني جلدتهم أو من الأجناس الأجنبية الوافدة <sup>(٣)</sup> .

وجه مقارنة . لأن جميع السبل سهلة وميسرة عندهم ، وفي البلاد الإسلامية والعربية الكثير من الإجراءات البيروقراطية والتعقيدات التي تأخذ من الباحث وقتا طويلا حتى يصل إلى هدفه العلمي المنشود .

(١) قرأت مئات الكتب والبحوث العلمية الغربية عن التراث العربي والإسلامي ، وفيها الكثير من الأخطاء والمغالطات عن تاريخ وتراث الإسلام والمسلمين . ومن محاسنهم أنهم درسوا وحققوا الكثير من المخطوطات العربية ، ولولم يفعلوا ذلك لضاعت ولم يصلنا شيء منها . كما أنني شاركت وحضرت الكثير من المحاضرات والندوات واللقاءات (السيمنارات) في أمريكا وبلدان أوربية عديدة ، وكان بعض المتحدثين يلقي على الناس والطلاب معارف عربية وإسلامية مغلوبة ، وقد ناقشت بعضهم فزعموا أنهم من تراجع في أقواله ، وآخرون استكبروا وأصروا على نتائجهم وأقوالهم .

(٢) ربما يعترض البعض على هذا القول ، ويقول إن بعض المبتعثين رجعوا وهم يحملون رؤى وأفكارا هدامة لدينهم وبلادهم ، وهذا كلام صحيح ، لكن نسبة هؤلاء قليلة ، ولا يقارنون مع أصحاب العقول النيرة والأعضاء الإيجابية الفاعلة لأنفسهم وبلادهم .

(٣) رأيت الكثير من الأجناس العربية والإسلامية من كان يعمل في مراكز بحوث كبيرة وعملاقة في كثير من دول الغرب . بل شاهدت بعضهم يتولون مراكز عالية وقيادية في العديد من الجامعات والأقسام والمراكز العلمية والبحثية . وفي جامعاتنا العربية - للأسف - نفتقد إلى مثل هذه الجهود والآليات التي تشجع التميز والإبداع بصرف النظر عن اللون والجنس والجنسية .



## خامساً: ذكريات ومشاهدات في عسير وغيرها من بلدان المملكة العربية السعودية (١٤١٠-١٤٤٣هـ/١٩٩٠-٢٠٢١م) :

بعد حصولي على درجة الدكتوراه رجعت إلى كليتي ( كلية التربية بأبها ) في نهاية عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) . وكان التعليم العام في عموم منطقة عسير مزدهراً فهناك إدارات تعليم عديدة للبنين في أبها ، وبيشة ، والنماص ، ومحایل ، ثم ظهر في سنوات تالية إدارتين جديدتين في سِراة عبيدة ورجال ألمع . وهناك إدارة تعليم رئيسية للبنات في أبها ، وكان يتبعها سابقا العديد من مندوبيات التعليم في بعض محافظات عسير وجازان ثم استقلت معظم إدارات تعليم البنات في بعض المحافظات العسيرية مثل بيشة ، والنماص وغيرها <sup>(١)</sup> .

راقت وعاصرت مسيرة التعليم العام في منطقة عسير (١٤١٠-١٤٢٣هـ/١٩٩٠-٢٠٢٢م) فوجدته قفز قفزات كبيرة وأسيا في تزايد أعداد الرياض والمدارس الحكومية وأعداد غير قليلة من المدارس الخاصة وبعضها تدرس مناهج أجنبية بلغات عديدة خدمة لبعض الجاليات العربية والإسلامية وغير الإسلامية في منطقة عسير <sup>(٢)</sup> . كما زادت أعداد الطالبات والطلاب حتى أصبحوا في خانة مئات الألوف في عموم بلاد عسير (سراة وتهامة) <sup>(٣)</sup> .

كانت إدارات تعليم البنين مستقلة عن إدارات تعليم البنات ، فالأولى تراجع وزارة المعارف التي تحول اسمها إلى وزارة التربية والتعليم ، واليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) تعرف باسم ( وزارة التعليم ) . وإدارات تعليم البنات تتبع الرئاسة العامة لتعليم البنات . وفي عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) ضمت جميع إدارات التعليم ( بنين وبنات )

(١) هذا الذي عرفته وعاصرته خلال السنوات الأولى من العقد الثاني في القرن (١٥هـ/٢٠م) ، فقد كنت عضوية تدريس بفرع جامعة الملك سعود بأبها ، ورشحت عضوا في أول مجلس تعليم في منطقة عسير ، كان ذلك المجلس عام (١٤١٥-١٤١٧هـ) ، ويتكون من مديري تعليم منطقة عسير ، وأنا والدكتور علي بن عيسى الشعبي ( يرجمه الله ) أعضاء ممثلين للتعليم العالي في ذلك المجلس . كان رئيس ذلك المجلس مدير تعليم عسير في أبها الدكتور حمد بن محمد الشغرد وعضوية مهدي الراقدي ، مدير تعليم محایل ، وظافر بن حبيب ، مدير تعليم النماص ، ومساعد تعليم بيشة ( نسبت اسمه ) بدلا من مدير التعليم آنذاك سيف بن عامر بن خشيل ، وعبد الرحمن الغوينم أول مدير تعليم في سراة عبيدة ، والشيخ قاسم الشماخي مدير تعليم البنات في عسير ومقره مدينة أبها . هؤلاء الأعلام بذلوا جهودا عظيمة في تنمية وتطوير التعليم العام في منطقة عسير خلال العقود الثلاثة من هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) أمل أن تدرس سيرهم ويكتب عنهم وعن جهودهم وأعمالهم الكثيرة في ميدان التربية والتعليم وخدمة دينهم وأهلهم وبلادهم .

(٢) تحولت في بعض مدن منطقة عسير مثل أبها ، وخميس مشيط ، وبيشة ، ومحایل خلال ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) فوجدت فيها العديد من المدارس التجارية الخاصة . وبعضها مدارس عالمية أو أجنبية تدرس أبناء الكثير من الجاليات الأجنبية المقيمة في بلاد عسير . وهناك مدارس عربية ( مصرية وشامية وغيرها ) تهتم بتدريس أبناء وبنات بعض الدول العربية كمصر والأردن وسوريا وغيرها .

(٣) من يطالع تقارير إدارات تعليم منطقة عسير ، ويتأمل في إحصائيات أعداد المدارس والطالبات والطلاب فإنه يجد الأربعين عاما الماضية مليئة بالإنجازات الترموية الكبيرة التي تدور في فلك التعليم العام في منطقة عسير .

حتى اسم وزارة التربية والتعليم ، وصار لكل إدارة مديراً واحداً يشرف على التعليم في محافظته أو ناحيته ، وله مساعدون ومساعدات لشطري البنين والبنات . ومعظم مديري التعليم الذين عرفتهم وعاصرتهم في عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) ، وأشرت إليهم في حاشية سابقة ، هم أول من تولى إدارات التعليم في منطقة عسير بعد ضم مدارس البنات والبنين تحت إدارة تعليم واحدة<sup>(١)</sup> .

أقول إن تاريخ التعليم العام الحكومي والتجاري في منطقة عسير مر بالعديد من التحولات والتطورات الكمية والكيفية ، وهناك الكثير من الوثائق والمدونات التي عاصرت نشأة إدارات التعليم أو تأسيس المدارس وتزويدها بكل اللوازم والاحتياجات ، أو وجهات النظر والآراء أثناء توحيد إدارات التعليم التي تشرف على مدارس البنات والبنين ، ناهيك عن أنشطة ومنجزات كل مدرسة أو إدارة تعليم ، وأوضاع وإمكانات ومؤهلات الكوادر البشرية التي تشرف على التعليم في المنطقة ( مدرسين ، ومديري مدارس ، ومشرفين ، ومدربين ، ومديري تعليم ، وموظفين إداريين وفنيين آخرين كثيرين ) ، فكل هؤلاء لهم تاريخ ، لكنه مازال غير مكتوب وموثق بطريقة علمية سهلة يمكن الرجوع إليه وقت الحاجة<sup>(٢)</sup> .

أما التعليم العالي في منطقة عسير ، بل في عموم جنوب المملكة العربية السعودية فذلك مجال رحب ، وأثاره الإيجابية كبيرة وعظيمة على عموم أرض وسكان جنوب المملكة العربية السعودية . فعند وصولي إلى أبها عام (١٤٠٩-١٤١٠هـ/١٩٨٩-١٩٩٠م) كانت حاضرة أبها تزخر بالعديد من الكليات الجامعية ( التربية والطب ) بفرع جامعة الملك سعود بأبها ( والشريعة وأصول الدين ، واللغة العربية والعلوم الاجتماعية ) بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالجنوب . وكليات البنات بأقسامها الأدبية والعلمية ، والمعلمين وغيرها . ولم نصل إلى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا في معظم محافظات عسير كليات جامعية عديدة للبنات ، وسبق أن أنشئت كلية المعلمين في بيشة من بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)<sup>(٣)</sup> .

(١) وثقت بعض مراحل التعليم العام المبكر في منطقة عسير ، وطبعت ونشرت ما تم توثيقه ، لكن مجال التعليم العام في منطقة عسير أو أي منطقة من مناطق جنوب المملكة العربية السعودية مازال غير مخدوم من حيث الرصد والتدوين . أمل من جامعاتنا المحلية أن تشجع أعضائها وأقسامها الأكاديمية على دراسة وتوثيق هذا المجال الحيوي المهم .

(٢) خرجت بهذا القول والخلاصات بعد قضاء أكثر من خمسين عاماً أشاهد مسيرة التعليم العام في منطقة عسير وما جاورها ، وأجس وأسمع من العناصر البشرية العاملة في هذا الميدان التنموي الحضاري المهم . كما أنني زرت الكثير من المدارس وإدارات التعليم في منطقة عسير ورأيت أراشيفها مليئة بالوثائق والتقارير والأوراق التي تعكس شيئاً من تاريخ التعليم العام منذ سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن ، وهذا الموروث جدير بالحفظ والاهتمام ثم الدراسة والتوثيق .

(٣) سبق أن رصدت شيئاً من بداية وتطور هذه المؤسسات التعليمية العالية في منطقة عسير . لكن كل كلية قامت في أبها أو أي محافظة من محافظات منطقة عسير مازالت تستحق أن تدرس وتوثق في رسالة علمية

كانت الكليات الجامعية في منطقة عسير تتبع وزارات وجامعات وهيئات عليا متعددة . فكلية التربية والطب تراجعان جامعة الملك سعود . وكلية الشريعة وأصول الدين واللغة العربية والعلوم الاجتماعية تستمد قراراتها ومرجعيتها من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . وكلية المعلمين في أبها وبيشة تراجعان وزارة المعارف ، (وزارة التربية والتعليم) . وكليات البنات تحت مظلة الرئاسة العامة لتعليم البنات ، وأنشئت كلية التقنية والصحية خلال العقد الثاني من القرن (١٥/هـ/٢٠م) ، وتراجع الأولى مؤسسة التعليم الفني والتدريب المهني ، والثانية وزارة الصحة<sup>(١)</sup> .

كنت حاضراً في الميدان التربوي والتعليمي من عام (١٤١٠-١٤٢٠هـ/١٩٩٠م-١٩٩٩م) ، وكان المسؤول الأول في كلية التربية الدكتور عبد الوهاب بن صالح بابعير الذي تولى عمادة الكلية من عام (١٤٠٨-١٤١٦هـ/١٩٨٨-١٩٩٥م) ، ثم جاء بعده وكيله الدكتور محمد بن علي آل هيازغ وبقي في عمادة الكلية حتى قيام جامعة الملك خالد (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) . وعميد كلية الطب الدكتور عبدالعزيز الصائغ ، وجاء بعده الدكتور محمد بن يحيى الشهري ، ثم الدكتور سعيد بن علي أبو عشي . وعمداء كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية الدكتورة سعد بن عثمان القحطاني ، ثم إسماعيل البشري ، ثم علي بن محمد العريشي . وعمداء كلية الشريعة وأصول الدين الدكتورة سالم القرني ، ثم عبد العزيز الغامدي ، ثم يحيى بن عبد الله السعدي الغامدي . وعمداء القبول والتسجيل بفرع جامعة الملك سعود الدكتورين طلال بن حسن بكري ، ثم علي ابن عيسى الشعبي . وفي فرع جامعة الإمام بالجنوب الدكتورين عبدالرحمن الضحيان (الجويبر حالياً) ، ثم الدكتور سعد بن حسين بن عثمان<sup>(٢)</sup> .

أو كتاب علمي توثيقي مطول . أمل من طالبات وطلاب الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد أن يدرسوا بدايات تطور كل كلية منذ التأسيس حتى الآن (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) .

(١) هذا الذي عرفته وعاصرته منذ رجوعي بدرجة الدكتوراه عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) حتى نهاية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، وعند قيام جامعة الملك خالد بدأ الوضع يتغير إلى الأحسن إدارياً وتنموياً وحضارياً . حينذا أن نرى مؤرخين جادين يعكفون على دراسة وتوثيق تاريخ هذه الكليات منذ نشأتها حتى عام (١٤١٩-١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) .

(٢) جميع هؤلاء الأعلام بذلوا ما في وسعهم لخدمة التعليم الجامعي في منطقة عسير وما حولها . ويستحقون أن توثق سيرهم ، وما قدموه لخدمة البلاد والعباد تربوياً وثقافياً وتعليمياً ؛ للمزيد من التفاصيل عن تاريخ فرعي جامعتي الإمام والملك سعود في أبها ، أو منطقة عسير ، انظر عدداً من البحوث العلمية المنشورة في كتاب: ندوة التعليم العالي في عسير: ربع قرن من الإنجاز والعطاء (٢-٣ شعبان ١٤٢١هـ الموافق ٣٠-٢٩ / أكتوبر ٢٠٠٠م) . ( مطبوعات جامعة الملك خالد ، ١٤٢٣هـ) . حينذا أن تقوم جامعة الملك خالد بإعادة طباعته مع إجراء بعض الإضافات والتعليقات عليه ، فهو عمل علمي جيد يستحق الطباعة والنشر على أوسع نطاق . كما انظر غيثان بن جريس . تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز من عام (١٤٠٢-١٤٢٢هـ/١٩٨٢-٢٠٢٠م) . ( مطبوعات جامعة الملك خالد ، ١٤٢٣هـ) ، ص ٢٢٠-٢٢٠ .

تولى عمادة كليتي المعلمين بأبها وبيشة بعض الأساتذة مثل: الأستاذين غرم الله دخيل الغامدي، وصالح بن علي، أبوعراد الشهري، والدكتور فهيد عبيد السبيعي في كلية المعلمين بأبها. والأستاذين محمد السبيعي، ومحمد عبد الله آل عمر، والدكتور مهدي القرني في كلية المعلمين ببيشة<sup>(١)</sup>. وتأسست الكلية التقنية المتوسطة عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، وتعاقب على عمادتها عدد من الأساتذة كان أولهم صالح بن جاسم الدوسري<sup>(٢)</sup>. كما أنشئت كلية العلوم الصحية في أبها عام (١٤١٢هـ/١٩٩١م) والدكتور خليل بن مصلح الثقفي أول عميد لهذه الكلية<sup>(٣)</sup>، ثم تبعه عدد من العمداء حتى ضمت إلى جامعة الملك خالد عام (٢٨-١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)<sup>(٤)</sup>.

أما تعليم البنات الجامعي في منطقة عسير خلال العقد الثاني (١٥هـ/٢٠م) فقد بدأ في أبها في مطلع القرن نفسه، وتطور في أبها وخميس مشيط وبعض محافظات المنطقة حتى صار يتعلم في هذا القطاع عشرات الآلاف من الطالبات، وتخرج أيضاً آلاف المعلمات والموظفات اللاتي ساهمن في تطوير بلادهن وخدمتها<sup>(٥)</sup>.

(١) الدكتور مهدي القرني بقي عميداً لهذه الكلية حتى ضمت إلى جامعة الملك خالد عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). أما كلية المعلمين في أبها فقد جاء الدكتور فائز عسيري عميداً بعد الدكتور فهيد السبيعي، وبقي مسؤولاً عن الكلية حتى عام (٣٠-١٤٢١هـ/٢٠٠٩م).

(٢) انظر غيثان بن جريس، تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير (مطبوعات جامعة الملك خالد، ١٤٢٣هـ)، ص ٢٤٥. تعاقب على الإشراف أو عمادة كلية التقنية في أبها حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٢م) عدد من الأساتذة والمهندسين مثل: الأستاذ سعيد بن سعيد عبيد القحطاني، والدكتور طارق محمد نحاس، والدكتور جمال الحفظي، والدكتور سعد آل عمر، والدكتور عبد الله مرعي، والدكتور سعيد الزهراني، والدكتور الحسن سالم الحفظي، والدكتور ناصر زيدان عسيري. وأقول إن التعليم الفني والتقني العام والعالي في منطقة عسير يستحق أن يرصد ويوثق في بحوث وكتب عديدة، أرجو من مؤرخي منطقة عسير أن يهتموا بهذا الجانب الحضاري المهم.

(٣) للمزيد عن بداية كلية العلوم الصحية في أبها، انظر غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ج ٢، ص ٢٢٥-٢٤٢.

(٤) جاء إلى عمادة الكلية بعد الدكتور خليل الثقفي، الدكتور يحيى ماطر الخالدي. وأنشئت فيما بعد بعض الكليات الصحية للبنات في عدد من محافظات منطقة عسير، وعددها أربع كليات في أبها، وبيشة، ومحال عسير، والنماص، وبعد انضمام هذه المؤسسات التعليمية العالية إلى جامعة الملك خالد جرى تحويل هذه الكليات الخاصة للبنات إلى كليات للعلوم الطبية التطبيقية وأصبح مكانها خميس مشيط بدلاً من أبها، وبيشة، ومحال عسير، والنماص. للمزيد انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، ج ١٨، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٥) تاريخ التعليم العام للبنات في منطقة عسير وعموم بلاد السراة وتهامة مازال غير موثق في بحوث ودراسات علمية. والوضع نفسه ينطبق على التعليم الجامعي فهو الآخر غير مخدوم. وهذا الميدان (العام والعالي) يستحق أن يخصص له فريق عمل من الباحثات والباحثين حتى يجمعون مصادر هذا الجانب ثم يدرس ويرتب ويوثق ويطبوع وينشر. وقد ترددت على أرشيف بعض الكليات ومدارس التعليم في منطقة عسير منذ عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) حتى ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) ورأيت الكثير من الوثائق والسجلات والمصادر النافعة لدراسة هذا الميدان، لكن الكثير منها محفوظة بطريقة غير جيدة، وبعضها أصبح في هيئة رثة، ناهيك عن ضياع وإتلاف الكثير من هذا الموروث الحضاري المهم جداً. انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج ١٨، ص ٢٥٢-٢٥٨.

(\*) مما عاصرته عن التعليم العام والعالي في منطقة عسير خلال العقد

الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م)، أوثق شيئاً من ذلك في النقاط الآتية :

١- كانت مقرات التعليم العام تسير نحو البناء الإيجابي ، فأغلب المدارس مستأجرة في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، لكن بعد (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) زادت أبنية المدارس الحكومية في المدن وكثير من القرى والأرياف . أما التعليم العالي في الوقت نفسه فكان في وضع أدنى بكثير من التعليم العام فجميع مقرات الكليات والإدارات وإسكان الطلاب مستأجرة ، والدولة تدفع ملايين الريالات لهذا الباب . كما أن الكوادر البشرية من مدرسات ومدرسين وأعضاء هيئة تدريس وموظفات وموظفين في القطاعين ( العام والعالي ) كان متبايناً . ففي مراحل التعليم العام ( الابتدائي ، والمتوسط ، والثانوي ) أصبحت الكوادر السعودية وبخاصة من المعلمين تتحسن وتزيد منذ نهاية العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ولم يأت مطلع العشرينيات من القرن نفسه إلا ومعظم المدارس تدار بمعلمين وموظفين سعوديين ، وفي الوقت نفسه مازالت بعض المدارس في الأرياف والأماكن النائية تحوي الكثير من المدرسات والمدرسين المتعاقدين . وفي المدن الرئيسية نفسها بقي هناك بعض الكوادر غير السعودية يتولون دراسة بعض المواد العلمية مثل الرياضيات وغيرها<sup>(١)</sup> . أما التعليم العالي فمازال متأخراً ، ومعظم القائمين عليه ( عضوات وأعضاء هيئة التدريس ) متعاقدون من أجناس عربية وغير عربية<sup>(٢)</sup> .

٢- شاهدت الآثار الإيجابية للتعليم العام والعالي بدأت تؤتي ثمارها على الأرض والناس . فالكثير من المؤسسات الإدارية في بلاد عسير ومناطق الجنوب السعودي صاروا من بنات وأبناء البلاد . كما أن المحاضن المعرفية والثقافية والدعوية والأدبية والتعليم وغيرها صارت مرتادة من بنات وأبناء البلاد المتعلمين تعليماً عاماً ، وفيهم نسبة غير قليلة يحملون شهادات جامعية . بل صارت الكليات الجامعية النسائية والرجالية تشتمل على كوادر سعودية جنوبية يحملون شهادات عالية من درجة البكالوريوس إلى درجة الدكتوراه ، ولبعض من حملة الدكتوراه ترقوا في درجاتهم

(١) كنت من عام (١٤١٠-١٤٢٠هـ/١٩٩٠-١٩٩٩م) أتجول في حواضر ومدن وقرى وهجر وبوادي منطقة عسير ، ورأيت وضع المدارس والتعليم آنذاك . وأقول إن تاريخ مقرات المدارس والكوادر البشرية العاملة في التعليم بمنطقة عسير ، أو بلاد السروات وتهامة ، موضوع مهم وجديد في بابه حيداً أن يدرس ويوثق من عام (١٣٥٤-١٤٢٠هـ/١٩٣٤-١٩٩٩م) .

(٢) للأسف إن الكثير من أقسام الكليات بقيت أكثر من (٢٥-٣٠) عاماً يتولى أعمالها وبخاصة الفنية والتعليمية أعضاء هيئة تدريس غير سعوديين . وكان لعمداء تلك الكليات وإدارات الجامعة ( الإمام ، أو الملك سعود في الرياض ) ، أو جامعة الملك خالد في سنواتها الأولى دوراً سلبياً لهذا الفقر والضالة في تعيين معيدين وأساتذة يواصلون دراساتهم داخلياً وخارجياً ثم يعودون لقيادة هذه الأقسام . وقد زرت بعض كليات جامعات الجنوب السعودي من عام (١٤٣٠-١٤٤٣هـ/٢٠١٠-٢٠٢١م) فوجد أقساماً وكليات عديدة مازال الغالبية فيها من عناصر غير سعودية . ولا أعلم حتى الآن ما هو السبب ، لكن من المؤكد أن هناك عقبات وعراقيل عديدة ، وعلى إدارات الجامعات الرئيسية أن تلتفت لهذا الأمر وتضع له بعض الحلول العملية والنافعة .

العلمية حتى صار منهم أساتذة مشاركون وأساتذة في تخصصاتهم ، وأصبح بعضهم ذا إنتاج علمي فنشروا الكتب والبحوث باللغة العربية أو الإنجليزية ، وشاركوا في الأنشطة المنبرية والعلمية وفي الندوات واللقاءات والمحاضرات العامة<sup>(١)</sup> .

٢- أثر التعليم العام ثم العالي في حياة الناس وبخاصة الطالبات والطلاب ، فتوسعت مداركهم وتطلعاتهم ، وصاروا ينشرون الوعي المعرفي والثقافي في أسرهم ، وقراهم وأريافهم وبواديهم<sup>(٢)</sup> . كما صار عند الواحدة أو الواحد منهم آمال مستقبلية للحصول على وظيفة حكومية أو أهلية ، ثم تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية . ومنهم من كانت تطلعاته عالية جدا فدرسوا جميع مراحل التعليم العام ، ثم الجامعة ، واستزادوا من العلم والخبرة فارتفعت درجاتهم العلمية والعملية ، ومكانتهم المادية والمعنوية ، وأصبحوا موظفين أو أساتذة كبارا ليس في قراهم ومواطنهم الأصلية ، وإنما في المجتمع الكبير ( المملكة العربية السعودية ) وقد عرفت ورأيت من وصل إلى مراكز عالية معرفيا ووظفيا وثقافيا واجتماعيا . وصاروا من قادة وأعيان ورموز الوطن ، ومنهم تستمد التوجيهات والخبرات والقرارات في مجالات متعددة تصب في تنمية البلاد وتطويرها<sup>(٣)</sup> .

(\*) **والناظر في التعليم العام والعالي من (١٤٢٠-١٤٤٣هـ/١٩٩٩-٢٠٢١م)**

**يجد القطار الزمني والبشري يسير بخطى ثابتة وجيدة في تطوير الأرض والإنسان ليس في سروات عسير وتهاثمها ، لكن في عموم البلاد السعودية . وبما أن هذه الورقات تناقش شيئا من تاريخ الناس في أبها ، أو عسير ، أو بلاد تهامة والسرارة فإنني أسرد في الصفحات الآتية لمحات مما عرفته وتذكرته ، وأوصى بدراسته وتوثيقه ، وهو على النحو الآتي :**

أ- استشعر ولادة الأمر في هذه الدولة ( وفقهم الله تعالى ) أهمية هذه الأوطان الجنوبية العربية السعودية ، فعينوا لها أمراء مخلصين يقومون على راحة وخدمة

(١) إنها عشر سنوات (١٤١٠-١٤٢٠هـ/١٩٩٠-١٩٩٩م) عشتها في أبها ، وكنت وسط الحراك المعرفي والثقافي والتعليمي . وكانت أروقة الكليات في أبها ، ونادي أبها الأدبي ، وإمارة منطقة عسير ، وبعض المؤسسات الإدارية الأخرى في عمل تعليمي ومعرفي وثقافي مستمر . والكثير من الإخوة زملاء أساتذة الجامعة في حضرة أبها لهم دور بارز مع إخوانهم من السعوديين في إدارة الندوات والنشاطات واللقاءات العلمية والمعرفية الإيجابية . وقد يقول قائل أنت لا تدون إلا الأمور الحسنة والإيجابية ، ولا تذكر السلبيات والقصور . وأقول إن هذا الرأي صحيح وسليم ، فقد كان هناك الكثير من العيوب على مستوى الأفراد والجماعات والكمال لله - عز وجل - لكن الجو العام كان جيدا ولا أقول إلا لله در تلك الأجيال وذلك الزمن الذي سار بأهله نحو البناء والتميز .

(٢) هو الواقع الذي شاهده وجربته ، وأمثالي كثير من الطالبات والطلاب ، فكم من أسرة أو أسر فقيرة ماديا ومعرفيا ، جاء لهم بنات وأولاد تعلموا في مراحل مختلفة ، واجتهدوا في تطوير أوضاع أسرهم في شتى المجالات . والتعليم والتعلم كان الأساس الذي انطلقوا منه في تنمية أنفسهم وأهليهم وبلدانهم .

(٣) كان المجتمع السعودي الحديث متواضعا في إمكاناته المادية والمعرفية . لكن الدولة انبثت لأهمية العنصر البشري وتطويره ، فأخذت من وقت مبكر بالعلم والتعلم ، ثم دعمت وشجعت وأسست كل المقومات الرئيسية التي تصب في تطوير الإنسان ، وكانت النتائج هو الارتقاء بالأفراد والجماعات تربويا وتعليميا .

أهلها في شتى المجالات ، كما أنهم لم يدخروا جهداً في تقديم الدعم المادي والمعنوي لما فيه مصلحة البلاد والعباد<sup>(١)</sup> . وكون هذه البلاد في أمس الحاجة إلى مؤسسة تعليمية عالية ، وأقصد بذلك جامعة أو جامعات ، عندئذ قامت الحكومة بجمع مؤسسات التعليم العالي الرئيسية في أهبها في جامعة مستقلة ، هي جامعة الملك خالد . وكان هذا قراراً موفقاً ، وفتحاً كبيراً لمعظم مناطق الجنوب السعودي ، وبدأت هذه الجامعة عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ، وفي حوالي (٢٤) عاما استطاعت أن تؤسس وترسخ مسيرة التعليم العالي في هذه البلاد ، ولم تكن هذه الجامعة ضيقة الأفق ، وإنما وجهت من قبل حكام البلاد على أن تعمل وتجتهد في تأسيس وتطوير التعليم الجامعي في مناطق عسير ، وجازان ، ونجران ، وقد تحقق لها ذلك ، فعملت على بناء وتأسيس جامعات جازان ، ونجران ، وبيشة . وهي اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) أربع جامعات في الجنوب السعودي سراة وتهامة ، يدرس فيها أكثر من (١٥٠) ألف طالبة وطالبا<sup>(٢)</sup> .

ب- إنني أعمل منذ زمن على توثيق كتاب في عدة مجلدات عن تاريخ جامعة الملك خالد وما بذلته ومازالت تبذل في تأسيس وتطوير التعليم العالي في منطقة عسير ، ومنطقة جازان ونجران . أمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ هذه الجامعات الأربع ( الملك خالد ، وجازان ، ونجران ، وبيشة ) ، فهي تستحق أن يوثق تاريخها في عشرات الكتب والبحوث العلمية .

ج- رأت الدولة ، ووزارة التعليم في المملكة العربية السعودية توحيد ميادين التعليم العالي في كل منطقة . وتكون الجامعات هي المسؤولة المباشرة عن سير هذا المجال من التعليم للرجال والنساء . وقد قامت جامعة الملك خالد ثم تلتها جامعات جازان ، ونجران ، وبيشة في الطرق والآليات لضيم كليات البنات والكليات الصحية تحت مظلة إدارة الجامعة الرئيسية ماديا وعلميا وإداريا<sup>(٣)</sup> . وقد بدأ هذا العمل من عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) ، واستغرق سنوات عديدة . واليوم نرى

(١) إن التاريخ الإداري في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية خلال العصر الحديث والمعاصر من الموضوعات المهمة والكبيرة التي يجب دراستها وتوثيق ما مرت به من مراحل تأسيسه وتطويرية منذ أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) .

(٢) إنني أعمل منذ زمن على توثيق كتاب في عدة مجلدات عن تاريخ جامعة الملك خالد وما بذلته ومازالت تبذل في تأسيس وتطوير التعليم العالي في منطقة عسير ، ومنطقتي جازان ونجران . أمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ هذه الجامعات الأربع ( الملك خالد ، وجازان ، ونجران ، وبيشة ) فهي تستحق أن توثق في عشرات الكتب والبحوث .

(٣) اطلعت على مئات الوثائق والسجلات التي ترصد جهود جامعة الملك خالد في التخطيط والترتيب لضم كليات البنات والعلوم الصحية إلى الجامعة ، وأيضا بعض الجهود التي بذلتها في نجران ، للهدف نفسه ، قبل قيام جامعة نجران . وتاريخ جامعة الملك خالد وما بذلته من أعمال وجهود في توحيد كليات التعليم العالي في عسير ، وما أشرفت عليه وحققته أثناء تأسيس جامعات جازان ، ونجران ، وبيشة ، موضوعات مهمة جدا تستحق أن تدرس وتوثق في عدد من الرسائل العلمية .

معظم قطاعات التعليم العالي في عسير تحت إدارة جامعتي الملك خالد وبيشة ،  
والوضع نفسه في منطقتي جازان ونجران .

د- إن تاريخ الجامعات الأربع ( الملك خالد ، وجازان ، ونجران ، وبيشة ) من الأعمال الكبيرة والحديثة التي بذلت عليها الدولة المليارات من أجل تطوير أرض وإنسان جنوب المملكة العربية السعودية . ومن يتجول اليوم (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) فإنه يشاهد مقرات حكومية عملاقة لهذه المؤسسات ، ويجد فيها مئات الكليات ، والأقسام ، والبرامج المتنوعة في تخصصاتها ودرجاتها العلمية ، ويرى مئات عضوات وأعضاء هيئة التدريس السعوديين الذين هم ثمرة مؤسسات التعليم العالي التي قامت في حاضرة أبها منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/١٢م) . كما يجد الكثير من الرصيد المعرفي والإبداعي لكليات وأقسام هذه الجامعات ، ليس في جنوب المملكة العربية السعودية ، أو حتى عموم البلاد، وإنما خارج الحدود ، فلها اتصالات وشراكات واختراعات وبصمات في جامعات ومؤسسات تعليمية عالية عربية وإسلامية وأجنبية في مشارق الأرض ومغاربها<sup>(١)</sup> .

رأيت أشياء كثيرة تغيرت وتطورت في أبها وما حولها ، وفي عموم عسير والسروات وتهامة . فالمؤسسات الإدارية زادت ونمت . فإمارة عسير في عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) تشغل مبنى مؤقتاً في جمعية الملك فيصل الخيرية وسط مدينة أبها . وعمارة الإمارة الحالية آنذاك يجري تشييدها ، ثم انتقلت مكاتب الإمارة إليها في منتصف العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) . وتحولت أسماء الإمارات في أنحاء البلاد إلى محافظات<sup>(٢)</sup> . وكانت أكبر محافظات منطقة عسير آنذاك خميس مشيط ، وبيشة ، ومحاليل عسير ،

(١) لم أقل هذه الخلاصات من فراغ ، وإنما هي مدونات إنسان خبير عاصر التعليم العالي منذ عام (١٢٩٦هـ/١٩٧٦م) وما زال بقرأ ، ويرصد ، ويشاهد ، ويشارك في مسيرة التعليم العالي في منطقة عسير تحديداً وفي عموم بلدان السراة وتهامة . ولحق إن الإنسان يعجز أن يلم بكل ما تم تحقيقه وإنجازه لإنسان جنوب المملكة العربية السعودية من خلال مؤسسات التعليم العام والعالي ، ولكل مجال آثار إيجابية كبيرة جدا ، لكن الجامعات المحلية لها القدر المعلى في خدمة الوطن في الجانب العلمي والمعرفي والثقافي بالدرجة الأولى ، ثم في مجالات وقطاعات حضارية أخرى . ومازلت أنادي وأحث صنّاع القرار في هذه الجامعات المحلية فيبذلوا ما في وسعهم على تأسيس مراكز أبحاث جيدة مدعومة بالمال والعقول النيرة لخدمة تراث هذه البلاد العريقة بأثارها وأقسامها ومكوناتها البشرية والطبيعية .

(٢) هذا التحول الإداري جرى على جميع مناطق المملكة العربية السعودية منذ عام (١٤١٢هـ/١٩٩١م) . وفي عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) صارت بلاد المملكة العربية السعودية (١٣) منطقة ، وكل منطقة تشرف على العديد من المحافظات . ومنذ ثلاثين عاما وأنا أتجول في عموم السروات وتهامة . وزرت الكثير من مناطق ومحافظات ومراكز هذه البلاد ، ودونت ووثقت صفحات من تاريخ وحضارة بعضها . فأقول إن كل ناحية أو محافظة تستحق أن تدرس ويوثق تاريخها في كتب وبحوث عديدة . أرجو من جامعات الجنوب السعودي أن تدعم وتؤسس مراكز بحوث علمية تخدم وتدرس أحوال هذه البلاد بشريا وجغرافيا وحضاريا .



والنماص، وظهران الجنوب، ويتبعها العديد من المراكز الإدارية، ثم تزايد أعداد المحافظات حتى أصبحت اليوم (٢٠٢١ هـ / ١٤٤٣ م) حوالي (١٧) محافظة، وعشرات المراكز<sup>(١)</sup>. وجميع المحافظات مقرات حكومية. ومراكزها في أبنية مستأجرة وحكومية. والوضع نفسه لجميع المؤسسات الإدارية الأخرى، ففيها المقرات الرسمية وأخرى مستأجرة، لكنها متوفرة في جميع المحافظات الكبيرة والصغيرة<sup>(٢)</sup>، وقد تكون مقرات البلديات في أنحاء منطقة عسير أفضل الأبنية الحكومية وأكثرها عدداً وجودة<sup>(٣)</sup>.

ومما لفت نظري خلال العقود الثلاثة الماضية (١٤١٠-١٤٤٣ هـ / ١٩٩٠-٢٠٢١ م)، مقرات مؤسسات التعليم العام والعالي، فجميع إدارات التعليم في السروات وتهامة حكومية، ومعظم مدارس التعليم العام للبنين والبنات. وأغلب المدن أو المقرات الجامعية أصبحت حكومية، وبعضها مازال في طور البناء والتشييد. كذلك مؤسسات تعليمية أخرى مثل كليات التقنية ومعاهدها فجميعها رسمية، وهناك مؤسسات عالية أهلية مثل كليات ابن رشد، والغد، والبترجي في مدينتي أبها وخميس مشيط مازال بعضها في أبنية مستأجرة<sup>(٤)</sup>.

وعمارات الأسواق الحديثة، والأسبوعية، والمستشفيات الحكومية والأهلية، والمطارات، وشبكة الطرق البرية، ومقرات بعض الشركات والمدن الصناعية أو الاقتصادية أو الطبية، والمدن، والأحياء، والمخططات العمرانية، وقيام مجمعات

(١) محافظات منطقة عسير اليوم (١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ م) حوالي (١٧) محافظة، هي: (١) خميس مشيط. (٢) بيشة. (٣) محاليل عسير. (٤) النماص. (٥) تثليث. (٦) ظهران الجنوب. (٧) سراة عبيدة. (٨) رجال ألمع. (٩) بلقرن. (١٠) أحدرفيدة. (١١) تنومة. (١٢) المجاردة. (١٣) بارق. (١٤) البرك. (١٥) طريب. (١٦) الحرجة. (١٧) الأمواه.

(٢) هذا ما عرفته وشاهدته وأنا أتقل في ربوع منطقة عسير (سراة وتهامة) منذ عام (١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) حتى الآن (١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ م).

(٣) مما يلفت نظر السائح في منطقة عسير، أو في مناطق عديدة في جنوب المملكة العربية السعودية أن مقرات البلديات أفضل الأبنية الحكومية مساحةً وتشبيداً، ولم أر أفضل من مقراتها بين المؤسسات الحكومية من الطائف ومكة إلى جازان ونجران. وتاريخ العمارة الحديثة في هذه البلاد يستحق أن يوثق بالكتابة والصورة الفوتوغرافية. وأجرى دراسة مقارنة بين العمارة القديمة والحديثة في منطقة عسير أو أي منطقة من مناطق جنوب المملكة العربية السعودية. موضوع جديد في بابه يستحق العناية من قبل الباحثين ومراكز البحوث العلمية في جامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية العالية.

(٤) زرت الكثير من هذه المقرات وبخاصة المدن الجامعية في عسير، والباحة، وجازان، ونجران فرأيتها في أبنية حكومية واسعة وفخمة وحديثة. كما شاهدت كليات التقنية هي الأخرى في مقرات رسمية. وتاريخ العمارة الحكومية الحديثة في مناطق الجنوب السعودي من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس، حذاً أن نرى مؤرخين جادين يهتمون بهذا الموضوع في بحوثهم ودراساتهم. والتعليم العام والعالي والأهلي في مناطق وحواضر السراة وتهامة أيضاً من الموضوعات البكر في مجال الدراسة والتوثيق. حذاً أن يظهر باحثون ومؤرخون جادون يدرسون بدايات هذا المجال ثم المراحل التي مر بها حتى الآن، والخروج في النهاية بتوصيات ونتائج تصب في خدمة مسيرة التعليم والارتقاء به لخدمة الأرض والناس.

سكنية خاصة وتجارية . كل هذه المجالات صارت في كل منطقة ومحافظه ومدينة كبيرة في عموم جنوب البلاد السعودية<sup>(١)</sup>.

إن تاريخ الناس الحضاري تغير كثيراً ، فأغلب الناس في الأرياف هاجروا إلى المدن، وأهل السروات من ظهران الجنوب إلى الطائف تركوا أوطانهم أيام البرد ونزلوا إلى البلاد التهامية الممتدة من مكة إلى جازان ، وبعضهم رحلوا إلى المدن الكبيرة في المملكة العربية السعودية وبخاصة المنطقة الغربية واستقروا فيها<sup>(٢)</sup>. ومن يعرف مدينتي أبها وخميس مشيط قبل ثلاثين عاماً ويشاهدهما اليوم يلاحظ الفرق الكبير في زيادة السكان ، والتوسع في البناء ، والتنوع في الأنشطة الصناعية والتجارية والثقافية والتعليمية والسياحية<sup>(٣)</sup>.

### (\*) مشاهداتي وذكرياتي ومعاصرتي للحراك التاريخي والحضاري

**الحديث والمعاصر (١٤١٠-١٤٤٣هـ / ١٩٩٠-٢٠٢١م) في مدن وحواضر وقرى**

**منطقة عسير بشكل خاص، وأراضي تهامة والسراة بشكل عام، وربما نشير إلى**

**بعض المناطق والحواضر في المملكة العربية السعودية، أوثق بعض النقاط**

**الآتية :**

١- إن منطقة عسير ، ومناطق جنوب المملكة العربية السعودية. تعد من كبريات أجزاء البلاد السعودية في مساحتها، وعدد سكانها ، ومواردها السياحية والطبيعية ، وفي موروثها التاريخ والأثري والحضاري . وصار أهلها من الذكور والإناث يتقلدون أعمالاً كثيرة ومهمة ، صغيرة وكبيرة ، في جميع قطاعات الدولة محلياً وإقليمياً وحتى عالمياً . والذاهب في أرجاء المملكة يجد الكثير من التهاميين والسرويين الذين

(١) إن ما ذكرته أعلاه ليس إلا صوراً قليلة وعامة مما شاهدهته خلال العقود الثلاثة الماضية ، وأنا أرحل وأتجول في بلاد السراة وتهامة من نجران إلى الطائف ، ومن مكة المكرمة إلى جازان . وكل محور من هذه المحاور يستحق أن يوثق تاريخه في بحوث وكتب عديدة . وإذا أخذت مدينتي أبها وخميس مشيط كنموذج من بلدان الجنوب السعودي فإنك تشاهد الكثير من الأسواق الصغيرة والكبيرة الحديثة والأسبوعية ، وترى المخططات العمرانية والجمعيات السكنية الكثيرة ، وأيضاً المدن والأحياء والقرى والمستشفيات والطرق الكبيرة المتفاوتة في أطوالها وجودتها .

(٢) هجرة أهل الجنوب السعودي من أوطانهم قديمة ، وأهداف الهجرة تتغير من زمن لآخر ، لكن في العقود الأخيرة من ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن زادت بنسبة كبيرة ، ولم تكن أسفارهم وهجرتهم داخلياً فحسب ، وإنما امتدت إلى بلدان عديدة في مشارق الأرض ومغاربها . للمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع انظر غيثان بن جريس . القون المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) ، ج٢٣ ، ص ٨٨-١٦٧ .

(٣) كل مجال من هذه المجالات جدير بالبحث والدراسة في عشرات البحوث العلمية الرصينة والعميقة . ونشاهد اليوم - ولله الحمد - أعداداً من الجامعات في السراة وتهامة وفيها عشرات الكليات والأقسام ، ومئات الأساتذة وطلاب الدراسات العليا ، وعلى الجميع أن يخدموا هذه البلاد معرفياً وبخيراً . وللأسف فإن خدمة البحث العلمي ودعمه مادياً ومعنوياً مازال ضعيفاً ومتأخراً في مؤسساتنا التعليمية العالية ، والواجب عليها أن تلتفت لهذا الأمر وترعاه حتى يثمر ويعود بالفائدة على الأرض والسكان .

يعيشون في حواضر ومدن وأمكنة عديدة ، ومنهم المقيمون بشكل مستمر ، وآخرون لفترات محدودة أو متقطعة . كما أن حياة التقارب الاجتماعي ، والاقتصادي ، والسياحي ارتفعت نسبها بين التهاميين والسرييين وغيرهم من سكان البلاد السعودية<sup>(١)</sup> .

٢- ما عاصرته ومارسه الآباء والأجداد من عادات وتقاليد وموروث اجتماعي . ومن هو في جيلي ، أو بعدنا بعقد أو عقدين وربما ثلاثة عقود أدركوا وعاشوا شيئاً من تلك الأعراف والتاريخ الاجتماعي والاقتصادي القديم . ومع تقارب العالم وتوسع حياة الناس المعيشية والمادية والتعليمية والثقافية بدأ الكثير من التراث المادي والمعنوي القديم يتراجع ، بل تضاءلت الكثير من التقاليد السابقة في الطعام والشراب ، واللباس والزينة ، وبعض الأعراف في الأحزان والأفراح ، والفنون والتراث الاجتماعي والترفيهي ، وظهر موروث حضاري جديد ممزوج بالكثير من التقاليد والمعارف الوافدة من داخل المملكة العربية السعودية ومن خارجها . وصار معظم الناس اليوم في منطقة عسير ، وغيرها من مناطق المملكة يعيشون حياة مصبوغة بآثار العولمة التي جلبت الكثير من الثقافات والحضارات الحديثة التي تختلف عن حياة أهلنا الأوائل ، وعشنا أيضاً جزءاً منها<sup>(٢)</sup> .

٣- ارتفع كثيراً مستوى المعيشة من سكن ، وأكل وشرب ، ولباس ، وسفريات ، وخدمات صحية ، وشراء جميع لوازم الحياة للأفراد والجماعات . والناظر في الأسعار والأجور اليوم يجدها قفزت بشكل كبير ومخيف . فالأرض متوسطة المساحة ، التي كان سعرها في بداية هذا القرن في عشرات الآلاف ، أو بداية مئات الآلاف أصبحت اليوم تقارب خانة المليون ، وأحياناً تزيد عن ذلك . والوضع نفسه على العمارات السكنية والتجارية . واللبسة وأدوات الزينة تباع في الماضي بالريالات أو بالعشرات ، أو بعض مئات الريالات . واليوم ارتفعت أضعافاً كثيرة . وأسعار المواشي أو الحبوب أو أدوات البناء ، أو الآلات والأدوات الاقتصادية والصناعية صارت جميعها عالية

(١) كانت حياة التقارب موجودة من عهود قديمة ، ثم زادت بنسبة عالية بعد توحيد المملكة العربية السعودية ، ومع مسيرة التطور والتنمية الذي تعيشه المملكة خلال الأربعين عاماً الماضية صار التداخل والتواصل أكبر في الكثير من مفاصل الحياة الحضارية . والاتصال التاريخي والحضاري الحديث والمعاصر بين أهالي جنوب المملكة وغيرهم من سكان البلاد السعودية موضوع مهم وكبير يستحق البحث والدراسة والتوثيق ، وهناك الكثير من المصادر والمراجع المتوفرة التي تصب في خدمة هذا المجال .

(٢) إنني أدون هذه السطور عام (١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م) ، وأشاهد الانفتاح والاختلاف البين والكبير في فنون الأكل والشرب ، والسكن ، والسفر والإقامة ، والعمل والإجازة ، واللباس والزينة ، والترفيه والتنزه ، والتسوق ، والبحث عن الوظيفة وكسب الرزق ، وحتى في علاقتنا الدينية والاجتماعية من تجمعات في الأعياد ، وزواجات ، وصلوات ، واستقبال الضيوف ، وزيارة المرضى ، وحضور الجنائز ، والشكاوي والإصلاح بين الخصوم ، وكل مناحي الحياة العامة والخاصة ، داخل البيت وخارجه .

السعر، وبعضها زادت أسعارها عشر مرات وأكثر عما كانت عليه في العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ-٢٠م). والأجور للناقلات الجوية أو البرية، أو للعمارات السكنية والتجارية، وكذلك الأيدي العاملة أصبحت مرتفعة جداً، والفرق كبير جداً عما كانت عليه في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)<sup>(١)</sup>.

٤- إن إقامتي خلال الثلاثين عاماً الماضية في مدينة أبها، لكنني تنقلت وسافرت كثيراً داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. وشاهدت أن بلاد الجنوب السعودي تسبق غيرها في الكثير من المؤهلات، وأهمها تنوع تضاريسها، وجمال طبيعتها، وهمة إنسانها بالإسهامات المتعددة في بناء نفسه وأهله وبلادته في محيط أرضه (السراة وتهامة) أو في أنحاء وطنه (المملكة العربية السعودية). وأقول أن جميع السريوين والتهاميين يستحقون منا أرباب القلم والبحث والتراث والتاريخ العمل والوفاء بجد وإخلاص لحفظ صفحات من أمجادهم وموروثهم الحضاري منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

### سادساً: خلاصة القول؛

عرجت على ذكريات ومشاهدات عامة وكثيرة في هذه الصفحات المسطرة في هذا المحور. وإعلم أنني لم أوف الموضوع حقه من التقصي والرصد، لكن أحسب أنني ذكرت صوراً ولمحات عرفتتها وعاصرتها خلال العقود الستة الماضية. أرجو أن تكون أقوالي ومدوناتى صادقة وواضحة، كما أرجو من المولى - عز وجل - أن لا يجرمني أجر هذا العمل الذي يعكس جزءاً يسيراً جداً من تاريخ وحضارة بلادنا وأهلنا في جنوب المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص. وأمل أن يأتي بعدي من يجد معارف مفيدة تفيد في خدمة تراث وحضارة هذه البلاد الجنوبية العربية السعودية في عصرنا الحديث والمعاصر<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ الأجور والأسعار لجميع البضائع والأعمال الاقتصادية والمعيشية خلال السنوات القريبة الماضية (١٤٢٠-١٤٤٣هـ/٢٠١٠-٢٠٢١م) موضوع جدير بالدراسة والتوثيق، وإن أجريت دراسة مقارنة بين هذه الفترة وآخر عقد في القرن الماضي (١٤هـ/٢٠م) فذلك أهم وأفضل .

(٢) عشت معظم حياتي العلمية أجمع وأوثق وأدرس حياة الأرض والناس في عموم شبه الجزيرة العربية وبخاصة الأجزاء التهامية والسروية. وذلك إيماناً واعتقاداً مني أنها بحاجة إلى من يجمع ويدرس تراثها وموروثها الحضاري عبر عصور التاريخ. ومهما بذلت وبذل غيري فلن نستطيع الإلمام بكنوز هذه البلاد المدفونة والسطحية، القديمة والحديثة. أرجو من جامعاتنا المحلية أن تبذل ما في وسعها لخدمة ما تحويه هذه الأوطان من تاريخ، وحضارة، وثقافة، وفكر، وأثار، وموروث وغيره من صنوف المعرفة .